جامعة بنغازي
كلية الآداب





قسم التاريخ

الدراسات العليا
شعبة التاريخ الإسلامي

# العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام

(490-690هـ/1096-1291م).

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لـمتطـلبـات إجازة التخصص العالي (الماجستير) في التاريخ الإسلامي

**إعداد الطالب:**

**محمد عبدالرحيم الطشاني**

**إشراف:**

**الأستاذ الدكتور/علي حسين الشطشاط**

العام الجامعي 2011–2012

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

صدق الله العظيم

سورة النحل، الآية رقم (93)

# الإهداء

أهدي ثمرة بحثي هذا إلى والدي رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح جناته.

إلى أرواح شهداء الأمة الإسلامية في فترة الحروب الصليبية حتى تكون أرضنا طاهرة من دنس أي غازي.

إلى أرواح شهدائنا الأبطال،شهداء ثورة 17 فبراير الذين رووا بدمائهم بلادنا حتى تكون عزيزة كريمة.

الباحث

# شكر وتقدير

يسعدني وقد أتممت صياغة بحثي أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان وبالغ الامتنان إلى الأستاذ الدكتور/**علي حسين** الشطشاط الذي استفدت منه الكثير من فيض علمه وثقافته الواسعة وتوجيهاته السديدة وإرشاداته القيمة وملاحظاته المثمرة وجهوده المخلصة منذ أن كنت في السنة التمهيدية وواكب رحلتي في إتمام هذا البحث، وكان لي نعم الأب والأستاذ والمشرف، فقد كان ليناً شديداً في آن واحد، وقد كانت شدته بنية الخير ولمصلحة إكمال هذا العمل.

فجزاه الله عني كل خير وأسأل الله أن يمد في عمره ويحفظه ويمنحه موفور الصحة والسداد، ويجعله ذخراً لقسم التاريخ.

كما لا يفوتني أن أتوجه بخالص الشكر الي اللجنة المشرفة علي مناقشة هذه الرسالة والمتمثلة في الاستاذ الدكتور ادريس الحرير والاستاذ الدكتور مفتاح الرباصي، علي تفضلهما علي مناقشة رسالتي، فلهم مني جزيل الشكر، كذلك الشكر موصول إلى أساتذتي الأفاضل في السنة التمهيدية قسم التاريخ في جامعة بنغازي.

كذلك أتقدم بالشكر الجزيل للعاملين بدار الكتب الوطنية بنغازي.

والشكر الموصول إلى زملائي في الدراسات العليا وأخص منهم الأستاذ منصف جودة عمران، والأستاذ حسين الفقيه، والشكر موصول الي الأستاذ علي الزليطني الذى قام بمساعدتي في ترجمة المراجع الاجنبية، فله الشكر على ما بذل معي من جهد، أسأل الله أن يجعله في ميزان حسناته.

كما أتقدم بالشكر إلى الأخت/ أميمة الضراط على تكرمها بطباعة رسالتي فلها مني جزيل الشكر.

وأخيراً أتقدم بكل الشكر والتقدير والاحترام لكل من وقف بجانبي ومد لي يد العون والمساعدة في سبيل إكمال رسالتي هذه داعياً المولى عز وجل أن يكلأ الجميع برعايته وحفظه.

الباحث

# الفهـرس


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| الآية | أ |
| الإهداء | ب |
| الشكر والتقدير | ج |
| الفهرس | د |
| المقدمة | 1 |
| التمهيد | 7 |
| **الفصل الأول** | |
| **العوامل التي أدت إلى قيام العلاقات ببين الطرفين** | 15 |
| 1: المواد الخام | 16 |
| 2: الطرق التجارية المهمة | 20 |
| 3: الأهمية الاقتصادية للأسرى والرهائن | 26 |
| 4: زيادة الطلب على منتجات الشرق | 30 |
| **الفصل الثاني** | |
| **مناطق الحدود المشتركة** | 36 |
| 1: نظام الحدود المشتركة وطرق إدارتها | 37 |
| 2: رسم الحدود بين الطرفين واحترامها | 41 |
| 3: تجارة الصادر والوارد بين الطرفين | 43 |
| 4: قوانين العرف البحري | 47 |
| 5: معاملة فلاحي الحدود المشتركة | 49 |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| **الفصل الثالث** | |
| **المؤسسات الخدميـة** | 52 |
| 1: الفنادق | 53 |
| 2: الخانات | 56 |
| 3: الأسواق الموسمية | 57 |
| 4: مناطق تمكيس القوافل | 61 |
| **الفصل الرابع** | |
| **النظام المالـــي** | 67 |
| 1: الأعمال المصرفية والصيارفة | 68 |
| 2: العملات الإسلامية والصليبية | 73 |
| 3: اثر التبادل التجاري | 77 |
| 4: ما تعلمه الفرنجة من المسلمين | 81 |
| الخاتمة | 91 |
| الملاحق | 93 |
| قائمة المصادر والمراجع | 105 |

# المقدمة

الحمد لله مفني الأمم، وباعث الرمم، وواهب الحكم، ذي البقاء والقدم، الذي لا مطمع في إدراكه لثواقب الأذهان، ونوافذ الهمم، أحمده على ما ألهم، وعلمَّ، وانعم، وصلى الله على كاشف الظلم، ورافع التهم، موضح الطريق للأمم، المخصوص بجوامع الكلم، والمبعوث إلى جميع العرب والعجم، وعلى آله وصحبه أهل الفضل والكرم،(عن كتاب اتحاف السادة المتقين، لمؤلفه محمد الزبيدي) وبعد...

تعرضت منطقة بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي لحركة استعمارية استيطانية من قبل الغرب الأوروبي، والتي اشتهرت في التاريخ باسم الحروب الصليبية.

استمرت هذه الحروب قرابة قرنين من الزمان احتدمت فيها المعارك فوق رمال بلاد الشام إلى أن جاء عام 690هـ/1291م معلناً عن نهاية الوجود الصليبي على أرض بلاد الشام.

يتصور الكثيرون أن الحركة الصليبية ليست إلا سلسلة حروب متصلة الحلقات بين المسلمين والصليبيين وكانت لغة السيوف والحراب هي لغة التفاهم بينهما، والحقيقة أن هذه الصورة لا تعبر إلا عن وجه واحد فقط من أوجه تلك الحركة.

والثابت أن هذه الحروب كانت قبل كل شيء مجالاً واسعاً إلتقى فيه الشرق الإسلامي بالغرب المسيحي وكان هذا اللقاء حضارياً على أضيق نطاق.

لم يكن الغزو الصليبي لبلاد الشام، نابعاً من الحماسة الدينية التي تستهدف

انتزاع الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين وإنما كان جرياً وراء تحقيق مكاسب اقتصادية و سياسية في الشرق العربي.

فقد ذكر ج وتومبسون أن الحروب الصليبية أول تجربة في الاستعمار الغربي قامت بها الأمم الأوروبية خارج حدود بلادها لتحقيق مكاسب اقتصادية واسعة النطاق.

تكمن أهمية الموضوع في محاولتي إعطاء صورة واضحة عن الحروب الصليبية من الناحية الاقتصادية، فقد اختلفت هذه الحروب عن غيرها بطول أمدها وتعدد عناصرها وتناقض أهدافها، وتنوع لغات المشاركين فيها ومكنت الصليبيين من البقاء في الشرق مدة طويلة، وقد أسفر الوجود الصليبي عن قيام قنوات حضارية، ومن أهم هذه القنوات المعاملات التجارية بينهما.

يرجع سبب اختياري لهذا الموضوع إلى:

1- اهتمامي بالمواضيع الحضارية وخاصة في فترة الحروب الصليبية ورغم ذلك فقد اقتصرت في دراستي هذه على الأثر الاقتصادي، لأن الأثر السياسي والعسكري كُتب حوله الكثير.
2- محاولة متواضعة مني لإضفاء شيء جديد للمكتبة العربية في هذا المجال.

أما عن أهداف الدراسة، فهي تهدف إلى:

1- التعريف بالعوامل التي أدت إلى قيام علاقات اقتصادية بين المسلمين والصليبيين.
2- توضيح المعاملات المالية وخبرة المسلمين فيها.
3- إبراز السلع التي كانت محوراً للتبادل التجاري بين الطرفين.
4- تبيان الاستفادة التي تحصل عليها كل من الطرفين لإقامة مثل هذه العلاقات.

أما بخصوص المنهج الذي وقع عليه اختياري لدراسة وتغطية مفردات هذا البحث، فهو المنهج التاريخي السردي التحليلي المقارن الذي يرتكز على إبراز المعلومات وربطها ومقارنتها بنظائرها الحالية وصولاً إلى النتائج المرجوة منها.

وقد اعتمدت في كتابة بحثي هذا على عدد من المصادر والمراجع، من أهمها ما يلي:

1- كتاب "ذيل تاريخ دمشق" لأبي يعلي حمزة المعروف بابن القلانسي (م: سنة 555هـ/1160م). وهذا الكتاب بمثابة ذيل على تاريخ دمشق لابن عساكر، ويعد هذا الكتاب من المصادر الأصلية ابتداءً من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي،عن التاريخ الوسيط ، رتَّبه مؤلفه على حسب السنين.
2- كتاب "الرحلة المسماة تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" لابن جبير (م: سنة 614هـ/1217م). ويعتبر صاحب هذا الكتاب من أشهر الرحالة المسلمين، فقد زار ثغر عيذاب على البحر الأحمر، ونقل لنا ما رآه في مينائها في فترة العصور الوسطى، وأشار إلى رواج التجارة بين المسلمين والصليبيين.
3- كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لمؤلفه بهاء الدين أبو المحاسن يوسف المعروف "بابن شداد" (م: سنة 632هـ/1234م) وهذا الكتاب من المصادر المهمة في تاريخ الحروب الصليبية، لأن مؤلفه له خدمة وصحبة لصلاح الدين الأيوبي، وقد تولى قضاء عسكره، ثم تقلَّد الوزارة ومنصب قاضي القضاة، ولهذا فقد وثَّق الأحداث كشاهد عيان معاصر لتلك الفترة.
4- كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" للإمام شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي (م: سنة 821هـ/1418م)، حيث قسم هذا الكتاب إلى أربعة عشر جزءًا، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة ضمَّت بين دفتيها الكثير من النظم الحضارية التي تهم كل باحث للتاريخ في العصور الوسطى، وقد أفادني هذا الكتاب في نصوص المعاهدات التي وقعت بين المسلمين والصليبيين خاصة في الفصل الثاني من هذا البحث.

أما فيما يخص المراجع، فكانت أيضاً متعددة ومتنوعة أهمها:

1- كتاب "الأوضاع الحضارية في بلاد الشام" في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاد، لمؤلفه محمود محمد الحويري، ويحتوي هذا الكتاب على

معلومات قيمة من الناحية الحضارية في القرون الوسطى في بلاد الشام، وقد خصَّص المؤلف الفصل الثالث من كتابه عن النشاط الاقتصادي بين المسلمين الصليبيين، وقد أفادني هذا الفصل في النظم والمعاملات التجارية بين المسلمين والصليبيين.

2- كتاب "الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب" لمؤلفه عزيز سوريال عطية، جمع هذا الكتاب بين دفتيه تاريخ الحروب الصليبية وما تبع هذا التلاقي من تلاحم الجيوش، حيث بين كيف التقت الثقافات وانفتحت أسواق التجارة، كما تناول في كتابه المراحل التي مرت بها الحروب الصليبية، نتائج تلك الحروب التجارة في العصور الوسطى في الشرق الأدنى، والثقافة العربية والغرب في العصور الوسطى، وقد اعتمدت على هذا الكتاب في الفصل الرابع من هذا البحث.

3- كتاب "العلاقات الاجتماعية والثقافية الاقتصادية بين العرب الإفرنج خلال الحروب الصليبية" لمؤلفه زكي النقَّاش، هذا الكتاب قُسم إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، تحدث فيه صاحبه عن مقدمة تاريخية في ماهية الحروب الصليبية، وعن الحالة التي كان يعيشها المجتمع الشامي من الناحية الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، ويرى المؤلف أن الحروب الصليبية قد فاقت غيرها من الحروب، وذلك بما خلفته بين العرب والإفرنج من آثار وما أقامته من علاقات اجتماعية وثقافية واقتصادية كانت عاملاً مهماً في تطور العلاقات بين الطرفين؛ إما سلباً أم إيجاباً، وقد اعتمدت على هذا الكتاب في معظم فصول البحث.

أما فيما يخص المراجع الأجنبية فأهمها:

1- Heyd: Histoire Du commerce Du Levant Au Mmoyen Age:Pairs 1936

يقع هذا الكتاب في جزئين، ويعالج ويتتبع العلاقات الرسمية وغير الرسمية بين دول البحر المتوسط على شاطئيه الإسلامي والمسيحي، في الحقبة التاريخية التي تخللتها الحروب الصليبية، في الشرق الأدنى، ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً

كبيراً يمتاز بحسن عرضه ولا غنى عنه لباحث مثلي، وقد استفدت من هذا الكتاب في معظم فصول البحث.

2- Ashtor: A Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages:Pairs 1950

يعتبر هذا الكتاب مرجعاً مهماً للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، وقد استفدت منه في معظم فصول البحث.

3- Jonthan Smith: The First Crusade and the Idea of Crusading: London 1972

تحدث الكتاب عن الحرب الصليبية الأولى وأحوال غرب أوروبا والمشرق الإسلامي إبان الزحف الصليبي، وقد قسم المؤلف كتابه إلى ستة فصول، وقد أفادني في فصل التمهيد من هذا البحث.

أما عن خطة البحث، فقد قسمتُ الموضوع إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

فيما يخص التمهيد فقد تناولت فيه الحالة الاقتصادية للغرب الأوروبي قبيل الحروب الصليبية، وبينت أن أوروبا كانت غارقة في نظام الإقطاع، والذي جعل الرجال والنساء وفق نظام السخرة يعملون والربح والإنتاج يأتي للسيد الإقطاعي، فقد استجاب هؤلاء الفلاحين المعدمين للحملة الصليبية التي ظنوا أن الشرق هو الذي سيخلصهم من حياة البؤس الفقر التي يعيشونها.

وبالنسبة للفصل الأول فكان بعنوان "العوامل التي أدت إلى قيام العلاقة بين الطرفين" حيث بينت فيه كيف كان تأثير أنواع المواد الخام اللازمة لكثير من الصناعات، والتي يحتاجها كلُ من الطرفين، كما بينت فيه الطرق التجارية المهمة، والأهمية الاقتصادية للأسرى والرهائن، كما تطرقت لأهم السلع التي كانت محور النشاط بين الطرفين.

أما بالنسبة للفصل الثاني الموسوم "مناطق الحدود المشتركة" فقد وضحت فيه نظام الحدود المشتركة والتي تسمى بلاد المناصفات، وكيفية رسم الحدود بين

الطرفين، واحترامها الصادر والوارد بين الطرفين، وأيضاً قوانين العرف البحري خاصة في المدن التي كانت تشتهر بالموانئ التي تعج بالسفن مثل عيذاب والبندقية وجنوا وغيرها، وبعدها ذكرت معاملة فلاحي الحدود المشتركة وكيف كانت المعاهدات القائمة بين الطرفين تحرص على سلامة الفلاحين في حالة الحرب بين الطرفين.

وجدت من المهم أن يكون عنوان الفصل الثالث "المؤسسات الخدمية" وفيه ألقيت الضوء على الفنادق وكيف كانت هذه المباني الخدمية تعقد بها الصفقات التجارية بين الطرفين، وتطرقت إلى الخانات، وهي النزل التي كانت في الممالك الصليبية، والتي لعبت دوراً مهماً في مجال التبادل التجاري، كما حاولت أن أتطرق للأسواق الموسمية التي كانت محط اهتمام التجار، لأنها ملتقى للسلع التجارية ومنتجات البلدان المختلفة.

وكان الفصل الرابع والأخير بعنوان: "النظام المالي" تحدثت فيه عن الأعمال المصرفية والصيارفة وبينتُ أن النظام المالي كان متعدد الأشكال، وذكرت العملات الإسلامية الصليبية وعرَّجت على آثار التبادل التجاري، وكيف كانت المعاهدات والهدنة بين الطرفين تزيد من مضاعفة النشاط التجاري وأخيراً تطرقت إلى التأثير الذي طرأ على الفرنجة نتيجة طول المدة التي استقروا فيها في بلاد الشام.

وأخيراً رحم الله من هداني إلى عيوبي، ولم يُعن على القرين وجعل لي حظاً من دعائه، فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب. كما يقول العماد الأصفهاني: "إني رأيت أنه لا يكتب إنساناً كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

الباحث.

# التمهيد

**الحالة الاقتصادية للغرب الأوروبي قبيل الحروب الصليبية:**

قبل بداية الحروب الصليبية في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، لم تكن أوربا كما نعرفها اليوم دولاً مستقرة وشعوباً متميزة واقتصاد قوي، بل كانت مجرد مناطق إقطاعية متخلفة بالقياس إلى العالم الإسلامي في ذلك الوقت[1].

كان هناك في أوربا خلال القرن الحادي عشر الفلاحون المتعبون الذين كانوا يزيلون الغابات ويزرعون أرضها بالمحاصيل التي تحتاجها أوربا[2].

وهناك أيضاً تجار الموانئ الأوروبية مثل جنوة والبندقية وبيزا، الذين نجحوا في إبعاد المسلمين عن شواطئ أوربا، وكانت تستولى عليهم روح الحيوية الدافقة والحماسة الجسورة للبحث عن أسواق جديدة[3].

في ذلك الوقت كان الطابع الريفي أو المظهر الإقطاعي هو الغالب على أوربا، وكان الأوروبيون يعيشون تحت رحمة الطبيعة إلى حد بعيد، فقد كانت الأرض المزروعة لا تزال ضئيلة المساحة بالقياس إلى مناطق البراري والغابات والأراضي البور التي كانت مرتعاً للحيوانات المفترسة[4].

وكان الفلاح الأوروبي يعيش في كوخ صغير حياة أدنى من حياة الحيوان الذي يعمل في الحقل، طعامه من إنتاج حقله وملابسه كان يصنعها من جلود حيواناته وصوف أغنامه[5].

ولم يكن الفلاح الأوروبي يأكل اللحم الطازج سوى مرة واحدة في عيد

(1) مصطفي وهبة ، موجز تاريخ الحروب الصليبية، (القاهرة،مكتبة الايمان، 1997) ص9.

(2) حاتم الطحاوي، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، (القاهرة،عين للدراسات والبحـوث، 1999) ص130.

(3) تيسير موسي، نظرة عربية على غزوات الإفرنج، ( بيروت، دار النهضة العربية، 1972) ص150.

(4) قاسم عبدة قاسم، ماهية الحروب الصليبية "الأيديولوجية – الدوافع – النتائج" ، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث، 2001) ص58.

(5) المرجع السابق، ص59.

ميلاد المسيح، ويحتفظ بما يتبقى مقدداً ليأكل منه طوال العام[6]. وكذلك لم يكن يأمن على نفسه من الجوع في تلك الفترة بسبب التكلفة الباهظة لوسائل النقل في ذلك الزمان، وتدهور الزراعة ونقص محصولهم الدائم كان سبباً من أسباب المجاعة[7].

وكانت السنوات العشر التي سبقت الدعوة إلى الحملة الصليبية الأولى سنة 496هـ/1095م سنوات صعبة بالفعل على سكان أوربا ولاسيما على شمال فرنسا وغرب ألمانيا، إذ شهدت تلك السنوات سلسلة تكاد تكون متصلة من الفيضانات والمجاعة[8].

واستولى الرعب على سكان تلك المناطق نتيجة الأمراض والأوبئة التي كانت تضرب فجأة إحدى القرى أو المدن فلا يتركها إلا وقد حصد أغلبية سكانها بمنجل الموت والعذاب البطيء[9].

وكان كل رجل يعمل في الأرض الزراعية مقيداً بالتزامات إقطاعية تجاه أحد السادة الإقطاعيين، ففي ظل الظروف المعيشية الصعبة كان جزء كبير من الفلاحين الذين كانوا يتمتعون بجزء من الحرية يتحولون تدريجياً وبمعدلات متصاعدة في كافة أنحاء أوروبا إلى عبيد يخدمون السادة الإقطاعيين أو النبلاء[10].

وكثير من هؤلاء الفلاحين فضلوا اللجوء إلى الكنائس ليصبحوا عبيداً للرب يعملون في الأراضي الزراعية الكثيرة التي تمتلكها الكنائس في ذلك الوقت[11]، بالرغم من سن القوانين التي كانت تربط السيد الإقطاعي بفلاحيه في الريف

---

(6) محمد عوض، سندباد في عصر الحروب الصليبية، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث، 2002) ص9

(7) عوض،سندباد، ص10.

(8) كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، (القاهرة، سينا للنشر، 1995) ص33.

(9) وهبه، موجز تاريخ، ص10.

(10) عبدالله الربيعي، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، (الرياض،مكتبة المصطفي، 1994) ص34.

(11) هنري بيرين، تاريخ أوربا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، ترجمة عطية القوسي، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996) ص15.

الصليبي[12].

وكان هؤلاء السادة أصحاب الإقطاعيات يعتبرون أنفسهم ملاكاً لكل شيء، بل ملاكاً للأرض ومن عليها، وكان على الفلاح أن يقدم عدداً من الخنازير لسيده الإقطاعي إذا أراد أن ترعى خنازيره في الغابة الملاصقة للقرية[13]، وإذا صاد القروي بعض الأسماك في المجاري المائية أو البحيرات الملاصقة للإقطاعية يكون للسيد الإقطاعي حق الحصول على نصيب من هذا الصيد[14].

هكذا كان الفلاحون فريسة للخوف الدائم، والاضطراب المستمر والافتقار للأمن، وكانت أيامهم تمضي كئيبة في انتظار مستقبل لا يأتي، وقد وقعوا تحت وطأة الطبيعة التي كانت تهددهم بنقص المحاصيل والمجاعات والأوبئة بين الحين والآخر، كما وقعوا تحت وطأة سادتهم الإقطاعيين الذين ساموهم سوء العذاب، كما جعلوهم وقوداً لحروبهم الإقطاعية[15].

في تلك الأوضاع الاقتصادية المحبطة والحياة القاسية، وجدت دعوة البابا أوربان الثاني للقيام بحملة صليبي صدى واسعاً واستجابة كبيرة من أولئك الفلاحين والفقراء الذين اضطروا في كثير من الأحيان إلى أكل الأعشاب[16]. فقد ضاقت بهم أراضيهم فرأوا في الشرق آفاقاً واسعة، فهي الأرض التي تدر لبناً وعسلاً[17]، نتيجة لتعرض الأراضي الزراعية للغزوات الشمالية وتحطم الجسور وانغمار الأراضي الزراعية بالمياه وكثرة قطاع الطرق فأصبح الأوروبي في خوف وجوع،

---

(12)Prawar : The Latin Kingdom of Islam, London, 1972, p. 369.

(13) جوزيف نسيم، الوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي، ( بيروت، دار النهضة العربية، 1981) ص2.

(14) قاسم، ماهية الحروب، ص64.

(15) زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1958) ص169.

(16) رمضان عبدالعظيم، الصراع بين العرب وأوروبا منذ ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، (القاهرة، دار المعارف، 1993) ص138.

(17) مكسيموس مونروند، من تاريخ الأرض المقدسة المدعوة حرب الصليب، ترجمة كيربو مكسيموس مظلوم،ج1 (القدس،مطبعة الرهبان، 1841) ص18.

وحدث أن الشهب تساقطت بكثرة مما أحدث الفزع في قلوب الناس الذين كانوا على استعداد للهجرة[18].

عبَّر البابا أوربان الثاني في خطابه الديني الشهير في السابع والعشرين من نوفمبر (488هـ/1095م) في كليرمونت، الذي أعلن فيه رغبته في قيام الحروب الصليبية[19]، عن سوء الأحوال الاقتصادية في أوربا قائلاً: "لا تدعوا شيئاً يقعد بكم من أملاككم أو من شؤون أسركم، وذلك بأن هذه الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقمم الجبال ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفي من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضاً ويلتهم بعضكم بعضاً وتتحاربون ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية ... إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، هي فردوس المباهج"[20].

لقد ربط هؤلاء الجياع والمحرومين أحوالهم المادية المتردية بخطاب البابا ونقلهم إلى أورشليم، أي القدس، ووصفه لها بفردوس المباهج، ولم يكن في وسعهم أن يفرقوا بين أورشليم الحقيقية في فلسطين، وأورشليم التي تخيلوها في السماء في أبهى الصور وأحلاها[21].

عاش هؤلاء الفلاحون الفقراء في إحباط وبؤس، فقد رأوا في الدعوة الصليبية فرصة هائلة اختلط فيها الطمع الدنيوي بالرغبة في الخلاص من البؤس والفقر، كما رأى الفلاحون الأرقاء والفقراء في الحملات الصليبية فرصة لخلاصهم الدنيوي والأخروي فاستجابوا بسرعة وبشكل كبير لدعوة البابا لهم كي يغزوا

---

(18) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العرينى، ج3 ( بيروت، دار الثقافة، 1967) ، ص171.

(1) Smith, Jonathan Relley: The First Crusade and the Idea of Crusading, London, 1936, p. 33.

(19) الربيعي، اثر الشرق الاسلامي، ص36.

(20) وهبة، موجز تاريخ، ص16.

الشرق الإسلامي[22].

ورأى فرسان أوروبا ونبلاؤها وأمراؤها في تلك الحملات فرصة لتحقيق طموحاتهم لزيادة ثرواتهم وملكياتهم واتساع منطقة نفوذهم وسيطرتهم، خاصة بعد أن ضاقت بهم أرض أوروبا ولم تعد إمكاناتها ومواردها تتناسب مع زيادة عددهم، وهذا ما كان يسبب نزاعات مستمرة بينهم ويدفعهم إلى خوض الحروب الكثيرة ضد بعضهم البعض[23].

لقد كان الجوع الذي عضَّ أنيابه معظم أنحاء أوروبا وبالتحديد غربها قبل نهاية القرن الحادي عشر بسنوات قليلة وراء خروج الأعداد الغفيرة من الفلاحين والمعدمين خلف قادة العصابات الذين شكلوا ما عُرف باسم "الحملة الشعبية" أو حملة الفلاحين أو حملة العامة التي سبقت الحملة الصليبية الأولى[24].

وتتضح أهمية الدافع الاقتصادي في تحريك الحروب الصليبية في الدور الذي لعبته المدن التجارية – الإيطالية جنوة والبندقية وبيزا وأمالفي، فلم تكن تلك المدن مدفوعة إلى تقديم مساعدتها للصليبيين بوازع ديني، وإنما جرياً وراء مصالحها التجارية[25].

إن الطرق التجارية التي كانت تمر من خلالها سلع الشرق الثمينة، كانت تنتهي إلى القسطنطينية، أو إلى الموانئ الساحلية ببلاد الشام الواقعة تحت نفوذ المسلمين[26].

لقد وجدت المدن الإيطالية في القرن الحادي عشر صعوبة في نقل سلعها

---

(21) رنا قباني، أساطير أوروبا عن الشرق، ترجمة صباح قباني، ( دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1993) ص125.

(22) عمر توفيق، مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي، ( القاهرة، دار المعارف، 1967) ص15.

(23) محمود الحويرى، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين، (القاهرة، دار المعارف، 1992) ص30.

(24) المرجع السابق، ص32.

(25) هانى المبارك: دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، ( دمشق، دار الفكر، 1996) ص21.

ومتاجرها إلى القسطنطينية بسبب المتاعب التي كانت تخلقها السلطات هناك، في الوقت الذي اضطربت فيه التجارة في مدن الشام الساحلية وأصابها الفوضى بعد استيلاء السلاجقة على بلاد الشام وصار من الصعب على التجار الإيطاليين الحصول على كميات وافرة من السلع المطلوبة، مثل: الحرير والجواهر والتوابـــل، ونتيجة لذلك أبدى تُجَّار المدن الإيطالية استعدادهم لتقديم أساطيلهم للصليبيين(27).

لقد قامت هذه المدن بتوسيع نشاطها التجاري في البحر المتوسط مما أدخلها في منافسة مع المسلمين، فقد كان القائمون على التجارة الأوروبية يرون في النشاط التجاري الإسلامي خطراً على مصالحهم التجارية والاقتصادية، لذلك أيدوا الفكرة الصليبية وعملوا على إنجاحها، لأن استيلاء الصليبيين على سواحل بلاد الشام سوف يتيح لهم مزيداً من الأرباح التجارية(28).

---

(26) الحويري، بناء الجبهة، ص33.

(27) سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج1( القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ، 1975 م) ص37.

# الفصل الأول

# العوامل التي أدت إلى قيام العلاقات بين الطرفين

1. **المواد الخام.**
2. **الطرق التجارية المهمة وسيطرة الصليبيين عليها.**
3. **الأهمية الاقتصادية للأسرى والرهائن.**
4. **زيادة الطلب على منتجات الشرق.**

## 1.المواد الخام:

**المواد الخام اللازمة لكثير من الصناعات:**

تعتبر المواد الخام العامل الأبرز والمهم في أي صناعة، فلا توجد صناعة بدون مواد خام، ونظراً لأهمية هذا العامل، فلم يجد الطرفين المتصارعين، سواء المسلمين أم الصليبيين بُداً من إقامة علاقات اقتصادية بينهما[1].

تمكن الفرنجة من السيطرة على بلاد الشام (خلال المدة 488هـ/1095م)، وما فيها من مواد خام مهمة لكثير من الصناعات، بحيث لم يستطع المسلمون الاستغناء عنها، ومما أوجد عدة دوافع لقيام تبادل تجاري بين الطرفين[2].

اشتهرت مدينة الرملة بالرخام ذو الأنواع الكثيرة والألوان الزاهية، مثل: اللون الأخضر والأحمر والأسود والأبيض، وظل هذا الرُخام يستخدم في تزيين الكثير من الأبنية[3].

أما مدينة بيروت التي استولى عليها الفرنجة سنة (503هـ/1109م) والتي ظلت تحت حكمهم إلى أن استردها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (583هـ/1187م)، فقد كان بالقرب منها جبل فيه معدن الحديد[4].

يصف الرحالة ابن بطوطة (م: سنة 703هـ/1303م) الحديد الذي يُجلب من الجبل الذي بالقرب من بيروت بأنه حديد جيد يستخرج منه الكثير ويُحمل إلى كافة بلاد

---

(1) النقاش,العلاقات بين العرب والافرنج، ص169.

(2) المرجع السابق ، ص172.

(3) أبو الحسن الدين ناصر خسرو, سفرنامة "رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، ترجمة يحيى الخشاب، (بيروت،دار الكتاب الجديد، 1970) ص53.

(4) ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف, سيرة صلاح الدين المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ترجمة جمال الدين الشيال، (القاهرة،الدار المصرية للتاليف والترجمة، 1964) ص101.

الشام وبخاصة دمشق ومصر لاستخدامه في صناعة الأسلحة[5].

أما مدينة طرابلس فقد كانت من أهم مدن الشام في صناعة الورق، وكان يصدر منه الكثير إلى المدن الشامية المختلفة، لأنه ورق جيد وقد تفوّق على الورق السمرقنديّ، الذي كان يُجلب من سمرقند، وكانت مدينة طرابلس تعتبر من المصادر المهمة لمواد الصباغة، التي اعتمدت على نوع من النبات الذي ينبت في هذه المدينة، وكانت تستخرج من هذه النبات أصباغ أرجوانية اللون[6].

نأتي هنا إلى شمال بلاد الشام ونذكر مدينة مشهورة وهي أنطاكية التي تقع في شمال بلاد الشام والتي اشتهرت بإنتاجها للمنسوجات الحريرية، وكان يصنع في هذه المدينة أيضاً الصابون والزجاج والفخار، ونظراً لأهمية هذه المواد فلم يكن لبلاد الشام كلها غنى عنها[7].

وقد نالت هذه المدينة وغيرها في مجال صناعة الملابس الحريرية ومن هذه المدن صور وطرسوس، فقد كانت ملابس هذه البلدتين مشهورة في الشرق والغرب، بالإضافة إلى القطن والكتان الذي يُصدَّرُ إلى كثير من بلدان العالم، بالإضافة إلى المواد الغذائية، مثل: الزيت والزبيب والحبوب والعسل والتمور. وأيضاً ما كان لازماً لصناعة الخزف التي بلغت أوج تقدمها إبان القرن السادس الهجري/الثالث عشر الميلاد[8].

---

(5) شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن بطوطة, رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ج1 (القاهرة،المطبعة الازهرية، 1928) ص30.

(6) خسرو, سفرنامة، ص48.

(7) Rey, Emmanuel, Colonic Frques en Syri aux Xiime siecles; Paris, 1883, p. 215

(8) النقاش,العلاقات بين العرب والافرنج ، ص180.

وكانت المناطق الجبلية المجاورة لبيت المقدس يستخرج منها مــادة البوتــاس، وأيضاً الكثير من المحاجر خاصة الحجارة ذات اللون الأحمر، والتي لها القدرة علــى مقاومة تأثير الميــاه والرطوبة، والتي استخدمها السكان في بنــاء مســاكنهم. فبنــاء المساكن بهذا النوع من الحجارة يُضفي لها جمالاً في شكلها وقوة تحملهــا للظــروف المناخية[9].

ونظراً لقرب القدس، والتي كانت تحت يد الفرنجة، التي سيطروا عليهــا ســنة (493هــ/1099م) من بعض المدن الإسلامية، مثل: دمشق وغيرها، فقد حصل تبادل تجاري وذلك بتصدير هذه الحجارة القوية إلى دمشق لغرض بناء المساجد والمــدارس والقيساريات والحمامات[10]. وتعتبر الأخشاب من بين أهم المواد الخام التي يحتاج إليها كل من الطرفين سواء المسلمين أم الصليبين، ولهذا فقد استولى الصليبيون على أهــم غابات الأشجار التي بالقرب من بيروت وأنطاكية، واستطاعوا الســيطرة علــى أهــم غابات الأشجار بأنواعها، مثل: غابات الأرز والصنوبر التي توجد بكثرة في جبل لبنان وعسقلان وعكا وغيرها[11].

ومن أهم الأشجار التي كانت ذات أهمية اقتصادية وصحية أشجار الزيتون التي تعتبر من أهم المواد الغذائية، وكذلك لبعض الصناعات والشعائر الدينية، فقد كان يمسح بالزيت المقدس وهو زيت الزيتون عند القديسين وكان يصنع منه الصابون، الذي يعتبر أفضل أنواع الصابون[12].

---

(9) علي السيد, القدس في العصر المملوكي، (القاهرة،دار الفكر للدراسات والنشر، 1986م) ص99.

(10) المرجع السابق، ص200.

(11) سعيد عبدالفتاح عاشور, العصر المماليكي في مصر والشام، (القاهرة،مكتبــة الانجلــو المصــرية، 1994) ص289.

(12) زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصــور الوســطى، (دمشــق،دار دمشــق، 1980) ص178.

وكانت للأخشاب دور مهم في هذه المدة وهي مدة الحرب للاستفادة منها في الصناعات العسكرية، كالمنجنيقات والسلالم الحربية لكي يتسنى للجنود تسلق الأسوار والقلاع، والدخول إليها[13].

وكانت السفن الحربية من أهم هذه الصناعات فقد برع الصناع في أنواع السفن التي كانت تسمى "بالشواني، الحراريق، الطرائد، وكانت السفن الحربية تُصنع على صنفين فبعضها كانت تُحكم أجزاؤه بالمسامير، والنوع الآخر تُحكم بأحبال اللّيف[14].

أما فيما يتعلق بالمواد الغذائية فقد كان السكر ذو أهمية كبرى للتبادل التجاري بين الطرفين، حيث يباع على هيأة قطع مخروطة أو سكر مطحون، ويكثر السكر في طرابلس وصور، حيث يقوم التجار الأوربيون بنقله إل أوروبا، وشجعوا زراعته هناك[15].

---

(13) عبدالرحمن زكى، القلاع في الحروب الصليبية، (القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1969م) ص85.

(14) المرجع السابق ، ص90.

(15) أبو عبدالله محمد بن محمد الادريسي, نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (القاهرة،مكتبة الثقافة الدينية، 1994) ص180.

## 2.الطرق التجارية المهمة وسيطرة الصليبين عليها:

لعبت موانئ البحر المتوسط والطرق التجارية لبلاد الشام دوراً هاماً ومؤثراً خلال الحروب الصليبية، حيث امتلكت المستعمرات الصليبية ببلاد الشام العديد من الموانئ التجارية والمدن المهمة من الناحية التجارية، فكان لابد من قيام علاقات تجارية بين المسلمين والصليبيين لكي تمر تجارة الطرفين دون وجود عراقيل نتيجة للحرب القائمة بينهما(16).

تمكن الفرنجة من الاستيلاء على مدينة أنطاكية سنة (491هـ/1097م) وكونوا أول إمارة بها، وعندئذ دانت لهم الطرق التجارية التي تربط هذه المدينة بغيرها، حيث عندها يلتقي الطريقان التجاريان القادمان من مرعش وحلب، وعندها ينتهي الطريق القادم من اللاَّذقية وساحل لبنان، كما تبدأ منها الطريق المؤدية إلى الإسكندرية وميناء السويدية، ويبدأ هذا الطريق من باب أنطاكية المسمى بالباب الكبير(17).

وكان هناك طريق آخر يربط أنطاكية بمدينة حماه عبر وادي نهر العاصي، كما يربطها طريق بحري بجزيرة قبرص عن طريق ميناء السويدية(18).

وعندما استولى الفرنجة على الُّرها سنة (491هـ/1097م) أدركوا أهميتها الإستراتيجية بوقوعها إلى الشرق من نهر الفرات وقربها من أنطاكية ودمشق(19).

لذا أسرع الأمير بلدوين بالاستيلاء على أهم حصنين فيها الأول حصن

---

(16) الطحاوي, الاقتصاد الصليبي،ص129.
(17) كاهن, الشرق والغرب، ص30.
(18) رنسيمان, الحروب الصليبية، ج4، ص3.
(19) المرجع السابق ، ج1، ص312.

راوندان الـــذي يتحّكم في الطريق المؤديـــة إلى أنطاكية[20]، أما الحصن الثاني فهـــو حصن تل باشـــر، الذي يتحّكـــم فـــي الطريـــق القـــادم من المدن الواقعة على نهـــر دجلة كمديـــنة الموصل والبصرة التي كانـــت المراكب العربية تعبـــر بحـــار الشـــرق الأقصـــى، وظـــلَّ الفرنجـــة يتحكمـــون فـــي تلـــك الطـــرق التجارية إلـــى أن تـــمّ استرداد مدينة الرُّها منهم سنة (539هـ/1144م) على يد عماد الدين زنكي[21].

ومن بين القلاع التي استولى عليها الفرنجة لكي يتحكموا في الطرق التجاريـــة قلعة حارم، التي أرادوا بالاستيلاء عليها التحكم في الطريق الذي يربط حلب وأنطاكية، لأنها تقع إلى الغرب من مدينة حلب على نحـــو مـــرحلتين وبينهـــا وبـــين أنطاكيـــة مرحلة[22].

وتتضح أهمية هذه القلعة أن صلاح الدين الأيوبي لما استولى على مدينة حلـــب عام (579هـ/1183م)، قام باسترداد هذه القلعة، فقد ذكر ابن شاهنشاه الأيوبي معلقـــاً على رد فعل الفرنجة لما أُستُرِدت هذه القلعة بقوله: "... وأما حديث صاحب أنطاكيـــة حينما تسلم السلطان حارم، اضطرب أمره ... فجاءت رسله بالخضوع والضراعة إلى السلطان وسير معهم من أساري المسلمين جماعة كبيرة وانخذل الفـــرنج فـــي جانـــب القدس"[23].

استولى الفرنجة على حصن شقيق ارنون، وقد كان غرضهم من ذلك التحكم في طريق التجارة الذي يربط بين دمشق وبيروت[24].

---

(20) جان كلود جويبو, على خطى الصليبيين، ترجمة عبدالهادي عباس، (دمشـــق،دار الحصـــاد، 1995) ص44.

(21) جونز، أ. هــ. م، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة إحســـان عبـــاس، (عمـــان،دار الشرق، 1987) ص60.

(22) أبو العباس أحمد القلقشندي, صبح الاعشى في صناعة الأنشـــا،، ج4(القاهرة،المؤسســـة المصـــرية للتاليف والطباعة والنشر،1963) ص312.

(23) محمد بن تقي الدين ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق وسر الخلائق "صاحب حُماه"، ترجمـــة حســـن حبشي، (القاهرة،عالم الكتب، 1968) ص146.

(24) ابن شداد, النوادر السلطانية ، ص154.

استطاع الفرنجة أيضاً الاستيلاء على حصن بارين الذي يتحكم فـي الطريـق التجاري بين حماة وحلب وبين حماة وبلاد الشام، وقد قام عماد الـدين زنكـي عـام (534هـ/1141م) قبل أن يوحد البلاد تحت حكمه بفتح هذا الحصن لأنه أدرك أهميته التجارية، وقد وصف ابن الأثير هذا الحصن بقوله: "فرأى حصناً محلقاً فـي الهـواء، مقارناً هامة الجوزاء، قد فاق الجبال الراسيات، وجازها سمواً، ومن بـه مـن ملـوك الفرنجة واثقين من حصانته، معتزين بعلو مكانه ومكانته"[25].

ومن الحصون المهمة "حصن الأكراد" الـذي اسـتولى الفرنجـة عليـه سـنة (503هـ/1121م)، وظل تحت سيطرتهم إلى أن استطاع الظاهر بيبـرس اسـترداده منهم سنة (669هـ/1270م)[26].

وهناك قلعة مهمة أخرى، وهي "قلعة بيسان" التي تُشرف على الجهة الشرقية من نهر الأردن وتتحكم في الطريق التجاري الذي يمر بمنطقة الغور والتي تعتبر بيسـان مقر لهذه الولاية[27].

ومن ضمن القلاع التي شيدها الفرنجة قلعة الشوبك التي شـيدها بلـدوين الأول ملك بيت المقدس عام (515هـ/1116م) وظلت بأيدي الفرنجة إلى أن فتحها صـلاح الدين الأيوبي عام (584هـ/1188م)[28].

أما الكرك فقد تم تشييدها زمـن الملـك فولـك ملـك بيـت المقـدس عـام (539هـ/1144م)، والقلعتان المذكورتان آنفاً ساعدتا الفرنجة على السـيطرة علـى طرق القوافل التي تجلب التوابل من جنوب البلاد وأيضاً من السيطرة علـى الطـرق

---

(25) علي بن أبي الكرم ابن الاثير, التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)، ترجمة عبدالقادر أحمد طليمات، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1963) ص60.

(26) ابن شداد,النوادر السلطانية، ص117.

(27) القلقشندي, صبح الاعشي، ج4،ص104.

(28) يوشع ، الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس، ترجمة عبدالحافظ البنا، (القـاهرة،عين للدراسات والبحوث الانسانية، 2001) ص73.

الممتدة من جبال لبنان إلى نهر الفرات[29].

مما سبق يتضح أن الفرنجة تمكنوا من الاستيلاء على أهـم الطـرق والقـلاع والحصون التي بالاستيلاء عليها استطاعوا التحكم في معظم الشام، وهنا يتبادر سـؤال إلى الذهن، وهو كيف عرف الفرنجة وهم غرباء عن هذه المنطقة كل هـذه الطـرق التجارية والمنافذ المهمة؟.

وللإجابة على ذلك أقول أن الأرمن قد ساعدوهم لأنهم كانوا يـدينون بالديانـة المسيحية، كذلك كان لديهم دراية بأهم وأفضل الطرق والمنافذ تبعاً لأهميتها الاقتصادية ولأن الأرمن كانوا ناقمين على حكم السلاجقة، ولهذا قدموا للفرنجة الكثير من العون، وخير مثال على ذلك ما وصل إليه الأرمن من قرب لدى الفرنجة، فقد كان مستشـار بلدوين مؤسس الرها بقراط الأرمني وتولى أبقراط هذه رئاسة حصن رواندان[30]. كما أنهم أول من فتح أبواب بلاد الشام للصليبيين بمساعدتهم وخيانتهم للمسـلمين، حيـث ساعد الزعيم الأرمني ثوروس بن هيثوم بلدوين البولوني على الاستيلاء علـى مدينـة الرُّها عام (490هـ/1096م)[31].

(29) رنسيمان, الحروب الصليبية،ج2، ص19.
(30) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج1، ص288.
(31) علي حسين الشطشاط, تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، (القـاهرة،المجلس الاعلي للثقافة،1998) ص82- 83.

### 3.الأهمية الاقتصادية للأسرى والرهائن:

من العوامل التي أدت إلى تبادل العلاقات بين المسلمين والصليبيين عامل الأسرى والرهائن، فعندما قامت الحرب بين الطرفين كان الفرنجة يقتلون كل من تصل له أيديهم، ولكن في أعقاب استيلائهم على مدينة بيت المقدس والمذبحة الهائلة التي قام بها الصليبيون ضد المسلمين(32)، فقد ذكر المؤرخ الصليبي "فوشيه دي شارتر" – وهو يعتبر شاهد عيان لما حدث– بأنها مذبحة كبرى(33)، إذ قتل الصليبيون الرجال والنساء والأطفال والمسلمين الذين كانوا داخل المدينة سواء كانوا في منازلهم أم احتموا في المساجد التي ارتفعت بهم الدماء إلى الكعبين ثم أبقوا على حياة بعض المسلمين لنقل جثث القتلى خارج أسوار المدينة وارتفعت أكوام الجثث حتى سارت كارتفاع المنازل ثم أشعلوا فيها النيران(34).

من خلال ما ذكر هذا المؤرخ فقد أبقى الصليبيون على عدد من الأسرى المسلمين لاستخدامهم في نقل الجثث وتنظيف المدينة، ويعتبر هذا أول فائدة من أسرى الحرب.

ازداد موضوع الاهتمام بالأسرى بعد ذلك لكي يقوموا بأعمال الزراعة، لأن أرض الشام كانت تشتهر بجودة مزروعاتها(35).

ومن الأسباب أيضاً لكي تتم المبادلة بين أسرى الفرنجة وأسرى المسلمين، فقد استطاع المسلمون أسر الكثير من الفرنجة منذ وصولهم إلى أنطاكية، فقد كان الفرنجة يخرجون للبحث عن الطعام في القرى والمناطق الساحلية أثناء حصار المسلمين لهم

(32) ريموندداجيل, تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسنين محمد عطية، (الإسكندرية،دار المعرفة الجامعية، 2002) ص103.
(33) بلغ عددهم حسب بعض المصادر سبعين ألفاً.
(34) Fuicher of charters, A History of the Expedition to Jerusalem, trans, Francis Rita. Ryan, W. W Rotan and Company, New York, 1978, III, p. 213.
(35) الطحاوي, الاقتصاد الصليبي، ص191.

دون حذر وبهذا استطاع المسلمون أسر أعداد منهم[36]. فقد ذكر أن في مدينة طرابلس كان هناك أكثر من 200 أسير من الفرنجة، ويشير فولشر الشارتري إلـى أن اهتمـام الفرنجة بموضوع الأسرى قد أخذ يتزايد منذ استيلائهم على مدينة أرسوف التي كانـت تشتهر بالطواحين اليدوية والتي تدار بواسطة نساء المسـلمين، ومـن الطريـف فـي موضوع الأسرى ما ذكره ابن شداد على أسر الصبيان في الحرب فقال المقاتلون أنـه كان الرجال يوماً من الطائفتين قد سئموا القتال فقالوا إلى كم يتقاتـل الكبـار ولـيس للصغار خط، نريد أن يتقاتل صبيان صبي مسلم وصبي من الإفرنج فخرج صبيان من المسلمين وصبيان من الإفرنج فاشتدت الحرب بين الصبيان فوثـب أحـد الصـبيين المسلمين على أحد الصبيين الكافرين واختطفه وضرب به الأرض وقبضه أسيراً واشتد به ليأخذه فاشتراه بعض الإفرنج بدينارين وقالوا هو اشترك حقاً فأخذ الدينارين وأطلقه وهذه من نوادر القتال[37].

ظل موضوع الأسرى ذا أهمية بالغة بين الطرفين فكلمـا زادت الحـروب زاد الأسر فنشأ نوع من التنظيم لمعاملة الأسرى والرهائن لكلا الجـانبين، وقـد اختلفـت الشروط بالنسبة لمعاملة الأسرى، مثل مكانة الأسير وأهميته[38].

وقد بلغ تنظيم معاملة الأسرى أن المسلمين سمحوا لرسل الفرنجـة مـن تفقـد أحوال أسراهم، مثال ذلك ما يرويه لنا ابن شداد أيام السلطان صلاح الـدين الأيـوبي قوله: "... وفي ذلك اليوم وصل رسل الفرنجة الذين بعثوا إلى دمشـق لتفقـد حـال أسرائهم، ووصل معهم من مميزي أسرائهم أربعة نفر، ووصل منهم أيضاً في عشـيته رسل إلى السلطان في تحرير أمر الأساري والمسلمين الذين كانوا بعكـا، ولـم تـزل

(36) محمود سعيد عمران, القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين، (بيـروت،دار النهضـة العربية، 1986) ص43.

(37) ابن شداد, النوادر السلطانية ، ص109.

(38) فوشيه الشارتري, تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسـلي، (عمـان،دار الشـروق للنشـر والتوزيع، 1990) ص219.

الرسل تتردد بين الطائفتين حتى كان يوم الجمعة تاسع رجب ســنة ســبعة وثمــانين وخمسمائة"[39].

وبمرور الوقت حرص الطرفان على وضع النصوص الخاصة بالأسرى وتنظيم إطلاق سراحهم في بنود تّم الاتفاق عليها[40]، ومن أمثلة بعض هذه النصوص ما ذكره القلقشندي في الهدنة التي عُقدت عام (682هـ/1283م) بين السلطان المنصور قلاوون وحكام الفرنجة في عكا وما معها من بلاد سواحل الشام، حيث يقول: "... وعلــى أن الرَّهَائِنَ بِعَكًّا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة، كل من عليه منهم مبلغ أو غَلَّــة، فيحلف والي ذلك المكان الذي منه الرهينة، ويحلف المباشر فإذا حلــف، يقــوم أهــل الرهينة عنه بما للفرنج عليه ويطلقونه..." [41].

وجرت العادة أن يتفاوض الطرفان على المبالغ التي يودون أخذها لكــي يــتم الإفراج عن الرهائن، مثال ذلك ما ذكره ابن شداد من مراسلة صلاح الدين مع الإفرنج يوم السبت العاشر من رجب سنة (587هـ/1193م) حيث يقول: "ولم تــزل الرســل تتواتر حتى حصل لهم ما كانوا التمسوه من الأسارى والمال المخــتص بــذلك التــرم (الصليب)، ومائة ألف دينار وألف وستمائة أسير"[42].

يتضح لنا من النص السابق أن المسلمين والفرنجة حرصوا على الاحتفاظ بأكبر قدر من الأسرى لكي تتم عملية التبادل بينهم فعدد ألف وستمائة أسير عدد ليس بقليــل خاصة إذا كانوا من جانب الفرنجة.

أما بالنسبة للفرنجة فيتضح لنا أن سبب احتفاظهم بأســرى المســلمين يرجــع بالإضافة إلى تبادل الأسرى كذلك الاستفادة منهم في الكثير من أنواع الحرف. فقد بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يتحايلون بشتى الطرق للاحتفاظ بهم، مثال ذلك ما حــدث عــام

---

(39) ابن شداد, النوادر السلطانية، ص172.
(40) سعيد، عبدالفتاح عاشور, أضواء جديدة على الحروب الصليبية، (القاهرة،الدار المصــرية للتــاليف والترجمة، 1964) ص103.
(41) القلقشندي, صبح الاعشي، ج14، ص61.
(42) ابن شداد, النوادر السلطانية، ص173.

(664هـ/1265م) أيام السلطان الظاهر بيبرس أثناء حصاره لمدينة صفد[*] وبعد أن طلب أهلها الأمان أمنّهم على أن لا يخرجوا بسلاح ولا بشيء من المال وأن يفتشوا عند خروجهم وعند تفتشيهم وجد معهم عدد من أسرى المسلمين أخرجوهم على أنهم نصارى[43]، واستعملت نساء المسلمين سبايا حرب للعمل في الخمارات. هذا ما ذكره ابن عبدالظاهر بقوله: "ووصلت الأخبار بأن أهل يافا ... أقاموا في يافا خانة وأوقفوا فيها عدة من المسلمات"[44].

وأخيراً لابد من الإشارة إلى أن العلاقات الخاصة بتبادل الأسرى ظلت قائمة حتى بعد أن تم طرد بقايا الفرنجة من بلاد الشام عام (691هـ/1291م) بحيث غدت جزيرة قبرص من أهم الأسواق التي يتجمع فيها أسرى المسلمين، فقد ذكر المقريزي أنه وجد من أسارى المسلمين خمسمائة وخمسة وثلاثون أسيراً وفكاكهم بثلاث عشر ألف وثلاثمائة دينار[45].

---

(43) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي, كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ترجمة سعيد عبدالفتاح عاشور، ج1(القاهرة،مطبعة دار الكتب، 1970) ،ص485.
(44) محي الدين عبدالله ابن عبد الظاهر, الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ترجمة عبدالعزيز (الرياض،د.ن، 1976) ص293.
(45) المقريزي, كتاب السلوك، ج4، ص300.

**4.زيادة الطلب على منتجات الشرق:**

لقد كانت فترة الحروب الصليبية نفسها عاملاً مساعداً له أهمية في زيادة التعامل التجاري بين المسلمين والفرنجة في بلاد الشام، فنظراً لسكن الفرنجة فترة طويلة بالشام، تعرفوا على منتجات الشرق المختلفة(46)، حيث أقبل الأوربيون على هذه المنتجات بتزايد مستمر وأصبحوا في بلادهم يعرفون هذه السلع التي كان الفرنجة يجلبونها معهم عند رجوعهم إلى بلادهم(47).

لقد كان التجار المسلمون هم الوسطاء بين سلع الشرق الأقصى والأوربيين، ولهذا لم يكن باستطاعة تجار الفرنجة الاستغناء عنهم، ولذلك فقد نشأ تبادل تجاري بينهما(48).

ونظراً لوجود عدد كبير من الفرنجة في بلاد الشام من أبناء المدن التجارية، مثل جنوا وبيزا والبندقية، والدافع الرئيسي لخوض هذه الحرب لهذه المدن هي التجارة، فبعد أن أثبتوا وجودهم، أصبحوا وسطاء تجاريين بين الشرق والغرب، فقد بلغ ما تستورده البندقية سنوياً من بضائع الشرق عن طريق دولة المماليك وحدها (مليون دوكات"(49).

وقد وضعت هذه المدن الأوربية قوانين بحرية تحتم على أساطيلها السفر إلى مصر والشام في شكل مجموعات ليكونوا قوة تُمكّنهم من مواجهة قراصنة البحر الذين

---

(46) عمر كمال توفيق, الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، (الإسكندرية،مركز الاسكندرية للكتاب، 1986) ص216.

(47) المرجع السابق،ص217.

(48) هايد، ف, تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رمضان،ج1 (القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985) ،ص182.

(49) سعيد عبدالفتاح عاشور, أوربا العصور الوسطى النهضات والحضارة والنظم،ج2 (القاهرة،مكتبة الانجلو المصرية، 1986)،ص1078.

كانوا يخيفون التجار أكثر من أهوال البحر وتقلبات المناخ(50).

فمثلاً في مدينة البندقية أصدر مجلس الشيوخ البندقي قراراً ألـزم فيـه السـفن التجارية المتجهة إلى مصر والشام بالسفر على هيئة قوافل(51).

وكانت القافلة المتجهة إلى مصر تتألف من أربع إلى ست سفن، أما قافلة الشام فقد تألفت من خمس سفن من بينهم سفينتين مخصصتين لنقـل الحجـاج المسـيحيين، وكانت القوافل الرسمية غالباً ما تعج ب كميات من السلع، ولذلك كانت تسبقها سـفينة أخرى تُعرف باسم "الكوكا" أو "المده" تنتظر هذه السفينة في ميناء بيروت لكـي يـتم شحنها بالتوابل والبضائع الشرقية الأخرى(52).

أما أهم السلع والبضائع التي تم تبادلها فقد كانت كثيرة ومتنوعة ولنبدأ بالسـلع التي تم نقلها إلى أوربا من مدن الشرق والتي كان من أهمها المنسـوجات والأقمشـة بأنواعها المختلفة(53).

كانت المنسوجات الكتانية من أهم المنسوجات التي نقلتها مدينة البندقية بـالرغم من اهتمام أوربا في تلك الفترة بالكتان وصناعاته، إلا أن الكتان المصري كان أكثـر متانة وشهرة عالمية واسعة واستمر هذا التفوق حتى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي(54).

وكانت مصر وبلاد الشام مستودعاً للتوابل(55)، وقد كانت منتجات الهند والعـاج

---

(50) نورمان بينز, الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس، (القاهرة،الـدار المصـرية للتـاليف والترجمة والنشر، 2003) ص285.

(51) شارل ديل, البندقية جمهورية أرستقراطية، (القاهرة،دار المعارف، 1948) ص28.

(52) Heyd (W), History Du Commerce Du Levant Au, Moyan Age, Leipzing, 1936, p. 447.

(53) جوزيف نسيم, دراسات في تاريخ العلاقـات بـين الشـرق والغـرب فـي العصـور الوسـطى، (الإسكندرية،مؤسسة شباب الجامعة، 1988) ص102.

(54) ناجلا محمد, مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية في عصـر المماليـك، (القـاهرة،عين للدراسات والبحوث الانسانية ،2001) ص35.

(55) عبدالقادر اليوسف, العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحـادي عشـر والخـامس عشـر، (بيروت،المكتبة العصرية، 1969) ص262.

من أفريقية والبخور والتمور من بلاد العرب لدرجة أنهم كانوا يسمون أبواب المــوانئ الكبرى بأسماء السلع الملهمة والضرورية، فقد كان أحد أبواب الإسكندرية يسمى بـــاب سدره، وعُرف أيضاً باسم باب البهار، لأن البهار يأتي عن طريقها من الهند، وبعــدها إلى القاهرة عبر البحر الأحمر، ومنها تحمله سفن تسير في النيل ثم خليج الإســكندرية حيث تفرغه خارج الإسكندرية عند هذا الباب[56].

لقد أولع الغرب الأوربي بالسلع الشرقية واشتد إقبالهم عليها، خاصة التوابل التي حازت المكانة الأولى بين تلك السلع الآتية من الشرق الأقصى حتى نهايــة العصــور الوسطى، وقد اعتاد الغرب على استعمالها في الأطعمة منذ الحروب الصليبية التي كان يستعمل التوابل في تتبيل الطعام وحفظه أو لاستعماله كعقار طبي[57].

واستعملت التوابل بصفة مستديمة في طهي الطعام وصنع النبيذ والبيرة المتبلة، فالفلفل والجنزبيل والقرنفل والقرفــة كلهــا كانــت مبعــث انتعــاش للقلــوب ودواء للأمراض[58].

ترتب على ذلك ازدياد الحاجة للتوابل بصورة ملموسة ومن أجل التوابل، ظلت بلاد الشام الهدف الأول للسفن الأوربية، إلى أن جاء اليوم الذي تمّ فيه اكتشاف طــرق بحرية جديدة، تمكن البرتغاليون من خلالها إمــداد أنفســهم بالتوابــل مــن منابعهــا مباشرة[59]، ونعني بها رأس الرجاء الصالح.

ومن أهم منتجات الشام قصب السكر، الذي لم يكن معروفاً فــي أوربــا قبــل الحروب الصليبية، فلما أتى الصليبيون إلى الشام تذوقوه لأول مرة، فلقد كتــب ولــيم اغانسبوري يقول: "زادت غزارة الأمطار من آلامنا، ومات الكثيرون من قسوة البرد،

---

(56) توفيق اسكندر, بحوث في التاريخ الاقتصادي، (القاهرة،الجمعية المصــرية للدراســات التاريخيــة، 1961) ص139.

(57) المرجع السابق ، ص140.

(58) سونيا هاو، في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت،(القاهرة،مكتبــة نهضــة مصــر، 1957) ص22.

(59) محمود محمد الحويري, العلاقات الحضارية في بلاد الشام فــي القــرنين الثــاني والثالــث عشــر الميلادي، (القاهرة،دار المعارف، 1979) ص133.

ووجد التعساء ضالتهم في نبات حلو، صاروا يمضعونه باستمرار، أطلقوا عليه عصا وعسل"[60].

تعلّم الصليبيون من السكان الوطنيين طريقة استخراج السكر من القصب واشتهرت طرابلس وبيروت وصور بزراعته، فمعظم ما كان يستهلك من السكر في أوربا في القرنين السادس والسابع الهجري/الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، جاء من بلاد الشام[61].

شملت السلع التي وصلت إلى بلاد الشام العطور والبخور بكافة أنواعه وقد ورد معظمها من أسواق الشرق الأقصى[62].

ولذلك فإن أبناء هذه المدن أقاموا منشآتهم الرئيسية في موانئ مملكة بيت المقدس التي تعتبر من أهم المدن من الناحية التجارية فموقع بيت المقدس أمام دمشق التي تعتبر المخزن الذي ترد إليه منتجات الشرق بالإضافة إلى السلع التي تستحق التصدير[63].

وعلى الرغم من أن التجار الأوربيين كانت لهم امتيازات خاصة أعطاها لهم الفرنجة إلا أنهم عقدوا الكثير من الاتفاقيات التجارية مع المسلمين لكي يستغلوا بعض الموانئ الخارجة عن سيطرتهم كمركز للبيع والشراء وشحن بضائعهم للغرب الأوربي.

ومن الطبيعي أن يُدرك الفرنجة أهمية منتجات الشرق فقد ذكر أحد المؤرخين اللاتينيين المدعو "جاك الفيتري" بقوله: "كان التجار الأوربيون من الضروري جداً وجودهم في الأرض المقدسة ليس فقط في مجال القتال لكن أيضاً في الأعمال البحرية ونقل البضائع والمؤن"[64].

---

(60) المرجع السابق، ص133.
(61) المرجع السابق، ص134.
(62) زكي نعيم فهمي, طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، (القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973) ص626.
(63) هايد, تاريخ التجارة،ج1،ص187.
(64) رنسيمان,الحروب الصليبية ،ج3، ص620.

لقد كان لهؤلاء التجار خبرتهم بالشرق نظراً لأن الكثير منهم عاشوا في بـــلاد الشام قبل مجيء الفرنجة وقيام الحروب الصليبية وما لديهم من خبرة تجارية حتى لـــو كانت حاجات هؤلاء التجار تسير عكس الباعث العقائدي التي من أجله قامت الحروب الصليبية[65].

هذه أهم العوامل التي أدت إلى قيام العلاقات بين المسلمين والفرنجة تم سردها خلال هذا الفصل.

---

(65) المرجع السابق، ج3، ص621.

# الفصل الثانـي

# مناطق الحدود المشتركة

1: نظام الحدود المشتركة وطرق إدارتها

2: رسم الحدود بين الطرفين واحترامها

3: تجارة الصادر والوارد بين الطرفيـــن

4: قوانين العرف البحـــــــــــري

5: معاملة فلاحي الحدود المشتركـــة

## 1.نظام الحدود المشتركة وطرق إدارتها:

الحدود المشتركة هي المناطق التي كانت محايدة وهي خارج سيطرة الصليبيين والمسلمين وقد ورد ت في المصادر التاريخية باسم "بلاد المناصفات".

ونتيجة لهذه الحدود المشتركة فقد حصل نوع من النظـام لكيفيـة إدارة هـذه المناطق، فقد ذكر المؤرخ ابن شداد أثناء تناوله للمفاوضات التي دارت بـين صـلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد، حيث قال في ذكر تمام الصلح: "... فقال الملك أنا قد صالحت وهذه يدي ... ورضوا بأن تكون لُدَّ والرملة مناصفة ... ثم أمر المنادي أن الصلح قد انتظم"[1].

وأيضاً ما ذكره ابن القلانسي بقوله: "أنه في سـنة (498هـ/1104م) وردت الأخبار بهلاك مقدم الإفرنج الغازين على ثغر طرابلس بعد أن استقر الأمر بينه وبين فخر الملك صاحب طرابلس أن تكون ظاهرة طرابلس للفرنجة بحيث لا تقطع الميـرة عنها ولا يمنع المسافرون منها"[2].

ويذكر أيضاً في حوادث سنة (502هـ/1108م) قوله: "وفيها تـرددت رسـل الملك بلدوين إلى ظهير الدين أتابك دمشق، في التماس المهادنة والموادعـة، فاسـتقر الأمر بينهما على أن يكون السواد، وجبل عوف اثلاثاً، وللأتـراك الثلـث وللإفـرنج والفلاحين الثلثان، فانعقد الأمر على هذه القضية وكتب الشرط على هذه المقضية"[3].

وقد وصل الأمر في التنظيم الإداري لمناطق الحدود المشتركة أنـه تـم عقـد اتفاقيات تنص على أن تكون مناطق بلاد المناصفات منزوعة السلاح، وأيضاً أن لا يتم بناء تحصينات فيها من جانب الطرفين، وقسمة عوائد هذه المناطق من بيـع الغـلات

---

(1) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص234.
(2) أبو يعلي حمزة بن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، (بيروت،مطبعة الاباء اليسوعيين، 1908م) ص147.
(3) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص171.

الزراعية، مثلما ما اتفق عليه في المعاهدة التي حصلت بين حكام دمشق وحكام الفرنجة في بيت المقدس التي نصت على حكم مشترك لمرتفعات الجولان [4].

أما في سنة (524هـ/1129م) فقد استولى عماد الدين زنكي على حصن الأثارب وكان الفرنجة يقاسمون أهل حلب على جميع أعمالها الغربية، أي كانت منطقة مناصفات[5].

أما في عام (544هـ/1148م) فقد توجه نورالدين محمود إلى أنطاكية وهادن من في أنطاكية وتقرر أن يكون ما يقرب من حلب له وما يقرب من أنطاكية لهم[6].

وبمرور الوقت تطور وضع الحدود المشتركة فأصبحت تخضع لإدارة إسلامية فرنجية مشتركة، وهذه الإدارة يرأسها نائبان أحدهما يمثل سلطان المسلمين والآخر يمثل الحاكم أو الأمير الفرنجي، الذي وافق على عقد المعاهدة الخاصة بذلك النظام، وكان ينص على أن لا ينفرد أحد منهما بشيء إلا باتفاق الطرفين[7].

وقد كان يعمل تحت إمرة كل نائب جهاز إداري بسيط يضم عددا من الموظفين أصحاب اختصاصات مختلفة بعضها يتعلق بجمع الرسوم والضرائب والمحاكمات وتنفيذ الأحكام[8].

وكانت توجد وظيفة يقوم بها عشرة أنفار من المشاة تسمى وظيفة "المشد"، فقد جاء ذكر هذه الوظيفة في الهدنة التي تم توقيعها بين السلطان المنصور قلاوون وبين متملك طرابلس عام (680هـ/1281م) والتي جاء فيها: "وعلى أن يكون من غلمان

---

(4) يوشع براور, عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم، محمد خليفة حسن، (القاهرة،دار المعارف،1981)، ص65.

(5) شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج27 (القاهرة،المؤسسة المصرية العامة، د.ت) ص157.

(6) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص305.

(7) بيبرس المنصوري الداوادر، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة "عصر سلاطين المماليك"، ترجمة زبيدة عطا، ج9 (القاهرة،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 1970) ص192.

(8) عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب (تجارية – ثقافية – صليبية)، ترجمة فيليب صابر سيف، (القاهرة،دار العالم العربي، 1972) ص182.

السلطنة لحفظ الحقوق ستة عشر نفراً، وهم المشد والشاهد والكاتب، وعشرة رجالة في خدمة المشد ويكون لهم بيوت يسكنونها"[9].

ويساعد المشد الكاتب الذي يكتب كل ما يتعلق بالمعاملات بين الطرفين والشاهد الذي يشهد على صحة هذه المعلومات وأحياناً يساعد الكاتب في العمليات الحسابية المختلفة[10].

وقد جرت العادة أن يتم اقتسام تلك الضرائب والرسوم بعد تسجيلها في ديوان كل طرف من الطرفين، وفي حالة غياب أحد النائبين فإنه يتعين على نائب الطرف الآخر الموجود أن يحتفظ بالقدر المستحق له من تلك الضرائب والرسوم ليسلمها إليه عند حضوره، كما جرت العادة أيضاً أنه متى دخل أحد في بلاد المناصفات ممن تجب عليه تلك الرسوم الضرائب وامتنع عن دفعها فإن نائب أحد الطرفين الذي يكون موجوداً يأخذ منه رهناً بمقدار ما يجب عليه ويترك هذا الرهن وديعة إلى أن يحضر النائب الآخر ويتم اقتسام ذلك الرهن بين الطرفين[11].

وإذا عجز النائب الحاضر عن أخذ رهينة من ذلك الشخص وخرج من بلاد المناصفات فإن دخل بلداً من البلاد التابعة لأحد الطرفين وجب على هذا الطرف أن يوصل إلى الطرف الآخر حقه[12].

أما فيما يتعلق بالمراعي الموجودة ببلاد المناصفات فقد وردت مواد خاصة باستعمال هذه المراعي وتأمين الرعاة والماشية الخاصة بكل طرف من الطرفين، وأن يحرص كل طرف على عمارة بلاد المناصفات ومراعيها ومن يدخل إلى تلك المراعي من الفلاحين بدواب أو من التركمان أو من البدو أو من الأكراد أو من غيرهم كان عليهم دفع الضرائب المستحقة على تلك الدواب والماشية والأغنام ويكون النصف من

---

(9) محيى الدين عبدالله بن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ترجمة مراد كامل، (القاهرة،المؤسسة المصرية للطباعة والتاليف والنشر، 1961) ص210.

(10) المرجع السابق، ص211.

(11) القلقشندي، صبح الاعشي،ج14،ص32.

(12) المصدر السابق، ج14،ص36.

ذلك للسلطان والنصف الآخر للفرنجة[13].

كذلك وضعت بنود خاصة باستغلال مصايد الأسماك، وكذلك الطواحين التي تدار بقوة اندفاع تيار مياه الأنهار وغيرها والتي عادة ما تستخدم في طحن الغلال، يكون نصفها للمسلمين والنصف الآخر للفرنجة[14].

(13) المصدر السابق، ج14،ص33.
(14) المصدر السابق، ج14،ص34.

**2.رسم الحدود بين الطرفين واحترامها:**

نشأ في زمن الحروب الصليبية معاهدات بين الصليبيين والمسلمين معاهدات واتفاقيات مبرمة لإلزام كل من الطرفين باحترام الحدود التي بينهما ولكي لا يقع اعتداء سواء اعتداء عسكري أو من جانب قطَّاع الطرق واللصوص وجب على كل من الطرفين بردع تلك العناصر[15].

وقد منع أيضاً تجديد بناء أي قلعة أو حصن ولا يزاد في حصانتها فقد ورد في نص المعاهدة التي أبرمت بين السلطان المنصور قلاوون والفرنجة في عكا عام (682هـ/1283م) جاء فيها: "وعلى أنهم لا يجددون عمارة قلعة ولا في أبراجها ولا يتعمدون إصلاح شيء منها إلاّ إذا عاينه نوابنا وأبصروا أنه يحتاج إلى ضرورة الترميم، ولا يجددون حفر خندق لتحصين يمنع أو يدفع"[16].

ونصت المعاهدات أيضاً على كيفية التعامل مع رعايا الدولتين الإسلامية والصليبية فقد جاء في المعاهدة السالفة الذكر ما يلي: "وعلى أن الفرنجة لا يجددون في غير عكا وعثليث وصيدا مما هو خارج عن أسوار هذه الجهات الثلاث المذكورات لا قلعة ولا برجاً، ومتى هرب أحد من بلاد السلطان إلى عكا وقصد الدخول إلى النصرانية وتنصر بإرادته، يرد جميع ما يروح معه ويبقى عرياناً وإذا دخل أحد من عكا وأراد الدخول إلى الإسلام يرد جميع ما معه ويبقى عرياناً"[17].

وقد ورد أيضاً في تلك المعاهدة ما يُعرف برسم الحدود بين الطرفين، فقد ذكرت المعاهدة: "وعلى أن يكون للسلطان الملك المنصور ولولده الصالح من بلاد الكرمل

---

(15) كمال، الدبلوماسية الاسلامية، ص214.
(16) المقريزي، السلوك ،ج 1،ص964.
(17) القلقشندي، صبح الاعشي،ج 14،ص57.

وهي الدالية، ودونه، ضريبة الريح والكرك ومعليا والرامون، يكون خاصاً للفرنجة في بلاد أخرى ذكرها، وما عدا ذلك من البلاد الجبلية جميعها للسلطان ولولده بكاملها"[18].

(18) المصدر السابق،ج14 ،ص55.

### 3.تجارة الصادر والوارد بين الطرفين:

عرفت بلاد الشام بشهرة واسعة في مجال الزراعة، ويرجع الفضل في ذلك إلى خصب أراضيه واعتدال مناخه ووفرة مياهه حتى قيل فيه الكثير من الأشعار ومن بين تلك الأشعار بيت شعر يقول فيه الشاعر يمدح فيه بلاد الشام:

وأَلْقَتِ إِلِيهِ الشَّامُ أَفْلاَذَ بَطْنِهَا          وَعَيْشاً خَصِيباً مَا تَعَدُّ مآكِلهُ

ومما اشتهر عندهم من أصناف الزروع والأشجار كالقطن والسمسم والكروم والتين والزيتون والفستق وصنوف الرمان وأنواع التمور والتفاح حسن اللون طيب الرائحة لذيذ الطعم[19].

أما الصناعات فقد عرفت بلاد الشام الغزل والنسيج وصناعة السيوف خاصة في دمشق وأيضاً صناعة الزجاج، فقد كان الزجاج الشامي يضرب به المثل في الرقة والصفاء فيقال "أرق من زجاج الشام"، وكذلك صناعة القيشاني التي كانت تشتهر به مدينة حلب[20].

لقد لعب التجار المسلمين والصليبيين دوراً بارزاً في نقل البضائع الواردة والصادرة بين الطرفين، فقد ذكر الرحالة ابن جبير بقوله: "واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكا، كذلك وتجار النصارى، أيضاً لا يمنع أحد منهم ولا يعترض، ومن أعجب ما يحدث أن قوافل المسلمين تخرج إلى بلاد الفرنجة وسبيهم يدخل إلى بلاد المسلمين"[21].

---

(19) النقاش، العلاقات بين العرب والافرنج، ص96.
(20) المرجع السابق، ص97.
(21) محمد بن أحمد بن جبير، الرحلة المسماة تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، (بيروت،دار الكتاب اللبناني، 1970) ص235.

قامت علاقات طيبة بين التجار المسلمين والتجار المسيحيين حتى أن بعض المدن التي سيطر عليها الفرنجة مثل عكا وبيروت كانت تزخر دائماً بالتجار المسلمين من كل مكان[22].

ومن بين السلع التي كانت تلقى رواجاً عند المسلمين "حصير الصلاة التي كانت تشتهر به مدينة "طبرية التي كانت تحكم الفرنجة، وكانت شهرته تصل إلى منطقة الغرب العربي، والذي بلغ ثمن الواحدة منها 5 دنانير[23].

ومن السلع التي تمّ تبادلها بين الفرنجة والمسلمين القماش على جميع أنواعه، فقد كان الشاميون يقومون بتربية دود القز في بيروت وطرابلس، أما الكتان فكان ينمو في سهول فلسطين وكانت المنسوجات الحريرية التي تُصنع في المدن التي سيطر عليها الفرنجة فكانت هذه المصنوعات تصدر إلى المسلمين خارج هذه المدن[24].

ومن بين أهم السلع التي حملها الفرنجة إلى بلاد المسلمين هن الجواري اللائي ملأن قصور المماليك، فقد ذكر الأصفهاني ما شاهده من رسو سفينة تحمل على ظهرها ثلاثمائة امرأة فرنجية، حيث قال واصفاً ذلك المشهد: "وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة فرنجية مستحسنة متحلية بشبابها وحسنها متزينة تلهبن على السفاح والفساد من كل زانية نازية زاهية متغنية متغنجة متبرزة متبرجة نارية ملتهبة فاتنة فاترة حمراء مرحاء نجلاء كحلاء عجزاء هيفاء، غَنَّاءُ لَفَّاءُ زرقاء ورقاء تنثني كأنها غصن وتتجلى كأنها حصن، لففن الساق بالساق، وشفين غليل العشاق"[25].

وكانت المعادن الثمينة كالذهب والفضة والأخشاب والرصاص والنحاس من بين

---

(22) أبو الحسن علي بن الكرم بن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8(بيروت،دار الفكر، 1978) ص399.

(23) سونيا هاو، في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، (القاهرة،مكتبة النهضة المصرية، 1957) ص42.

(24) نظير حسان سعداوي، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، (القاهرة،مكتبة النهضة المصرية، 1961) ص162.

(25) عماد الدين بن عبدالله الكاتب الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ترجمة محمد محمد صبح، (القاهرة،د.ن، 1965) ص347.

أهم المعادن التي تم استيرادها[26].

ومن التبادل التجاري بين الطرفين تجارة التوابل المختلفة مثل القرفة والحبهان والزنجبيل وغيرها من التوابل التي قام بشرائها التجار الأوربيون من المستوردين التجار المسلمين مباشرة[27].

وقد بلغت التجارة بين الطرفين ذروة نشاطها فقد تعلم النزلاء الفرنجة كيف يعقدون صداقات مع جيرانهم المسلمين وكانت هناك تدابير هينة تجري لجباية رسوم الديوان "الجمارك" ويعتبر ميناء عكا أنشط موانئ الساحل في التجارة وكذلك ميناء اللاذقية الذي يعد الميناء الآمن في شمال سوريا نظراً لأنه صالح لكل مناخ[28].

من العجيب في دراسة الصادر والوارد الذي حصل نتيجة للتبادل التجاري بين الطرفين أن الفرنجة قاموا بشراء الأسلحة من التجار المسلمين، فقد ذكر المقريزي في حوادث سنة (687هـ/1288م) أيام المنصور قلاوون، حيث بعث إلى الأمير علم الدين سنجر لكي يسأله عن ذلك فقال: "وَافِرَةُ المَصْلَحَةِ الظَّاهِرَةُ، فَالغِبطَةُ أَنَّنِي بِعْتُهُم مِن الرِمَاحِ وَالسِلاَحِ مَا عَتَقَ وَفَسَدَ، وقَلَّ الانتِفَاعُ بِهِ، وَأخَذْتُ مِنهُم أَضْعَافَ ثَمَنِه، وَالمَصْلَحَةُ، أَنْ يَعْلَمَ الفِرِنْجَةُ أَنَّا نَبِيعهم السَلاَحَ هَواناً بِهِم واحْتِقَاراً بِأَمْرِهم وَعَدَمُ مُبَالاةٍ بِشَأنِهم"[29].

وكانت السفن الإيطالية تنقل المسافرين القادمين لزيارة الأراضي المقدسة في بلاد الشام، وكان يتم تمويلها في رحلة العودة بمنتجات بلاد الشام المختلفة من جميع الفواكه: كالرمان والسفرجل والبطيخ والكمثرى والجوز والحمص والبصل والثوم والبن والجبن والأسماك وغيرها[30].

---

(26) عفاف صبره، العلاقات بين الشرق والغرب،(القاهرة،دار النهضة العربية،1983) ص166.
(27) رنسيمان، الحروب الصليبية،ج3، ص610.
(28) فهمي، طرق التجارة، ص225.
(29) المقريزي، كتاب السلوك،ج1،ص740.
(30) Ashtor،A Social Economic History of the Near East‘ Agoes, Pairs, 1950, p. 133.

### 4.قوانين العرف البحري:

من المعروف أن البحر المتوسط كان ممراً بحرياً مشتركاً بين الدول الإسلامية ودول الفرنجة سواء تلك الواقعة في بلاد الشام أو في الغرب الأوروبي، وقد شاهد هذا الممر نشاطاً ملحوظاً في النقل البحري والتبادل التجاري بين الطرفين ما تطلب وضع قوانين ومبادئ يتفق عليه الطرفان من مسلمين وفرنجة، وبخاصة بعد أن أصبحت بعض المدن والموانئ تدخل ضمن الحدود المشتركة[31]. فقد جاءت المعاهدات لتبين احترام القوانين البحرية بين المسلمين والفرنجة مثلما جاء في نص المعاهدة التي وقعت بين السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية وولده الملك الصالح "علي" ولي عهده، وبين حكام الفرنجة بعكا وما معها من بلاد سواحل الشام في (682هـ/1283م) والتي جاء فيها في البند الخاص بالسفن "وعلى أن شواني السلطان وولده إذا عمرت وخرجت لا تتعرض بأذية إلى البلاد الساحلية التي انعقدت عليها هذه الهدنة. ومتى قصدت الشواني المذكورة جهة غير هذه الجهات، وكان صاحب تلك الجهة معاهداً للحكام بمملكة عكا فلا تدخل إلى البلاد التي انعقدت عليها هذه الهدنة ولا تزود منها ... وإن انكسر شيء من هذه الشواني في ميناء من موانئ البلاد التي انعقدت عليها الهدنة وسواحلها فيلزم إصلاح ما انكسر منها وتمكين رجالها من الزوادة والعودِ إلى البلاد الإسلامية"[32].

وقد جاء العرف البحري لكي يضع قوانين تخص أعمال القرصنة[33].

(31) كمال، الدبلماسية الاسلامية، ص230.
(32) القلقشندي، صبح الاعشي،ج14،ص59.
(33) الطحاوي، الاقتصاد الصليبي، ص214.

فقد عُقدت هدنة بين الملك الأشرف، صلاح الدين "خليل" ابن الملك المنصـــور سيف الدين "قلاوون" صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية وبين "دون" حاكم الريـــد أرغون، صاحب برشلونة سنة (692هــ/1292م) والتي نصت فـــي البنـــد الخـــاص بالقرصنة: "وعلى أنه متى أُسر أحد من المسلمين في البر أو البحر من مبدأ تاريخ هذه المهادنة من سائر البلاد شرقها وغربها فيلزم الملك فـــك أســـره وحملـــه إلـــى بـــلاد المسلمين"[34].

وجاءت بعض النصوص في المعاهدات المختلفة التـــي تـــنص علـــى ســـلامة المسافرين المسلمين على متن سفن لا تتبع دول الفرنجة الموقعة على الهدنة، فقد جاء في نص المعاهدة التي عُقدت بين تجار مدينة جنوة وبين المنصـــور قـــلاوون ســـنة (689هــ/1290م) ونتيجة لحفظ وسلامة المسلمين فقد ورد في المعاهدة التـــالي: "وإن سافر أحد من المسلمين في مركب غير مراكب الجنوية من أعداء الجنوية وغيـــرهم لا يتعرضوا لأحد من المسلمين وأن أخذوا عدوهم، يكون المسلمون جميعهم آمنـــين فـــي نفوسهم وأموالهم ومماليكهم وجواريهم في رواحهم ومجيئهم ولا يعوقهم الجنوية بسبب أحد ولا يأخذوا المسلم عن غيره ولا يطالبوه بدين ولا دم وإن لـــم يكـــن ضـــامناً ولا كفيلاً"[35].

---

(34) القلقشندي، صبح الاعشي،ج14،ص68.
(35) المقريزي، كتاب السلوك، ج1،ص990.

### 5.معاملة فلاحي الحدود المشتركة:

يُعتبر الفلاحين الذين يعملون في الأراضي الزراعية عنصر مهم جداً، فهم عماد الدخل وهم الذين يقوم بأيديهم نشاط البلاد الزراعي، ولهذا فقد حرص كل من الطرفين الصليبي والمسلم على سلامة مزارعيهم وعدم قيامهم بأعمال تحض الطرف الآخر خاصة في بلاد المناصفات[36].

وجاء نص المعاهدة التي عُقدت بين الملك الظاهر بيبرس البندقداري صاحب الديار المصرية وبين الاسبتار بحصن الأكراد والمرقب في الرابع من رمضان سنة خمس وستين وستمائة للهجرة، وقد نصت المعاهدة في البند الخاص بفلاحي بلاد المناصفات والتي جاء فيها: "وعلى أن يكون أمر فلاحي بلد المناصفات في الحبس والإطلاق والجباية راجعاً إلى نائب مولانا السلطان، باتفاق من نائب الاسبتار، على أن يحكم فيه بشريعة الإسلام إن كان مسلماً وإن كان نصرانياً يحكم فيه بمقتضى دولة حصن الأكراد، وأن يكون الفلاحون الساكنون في بلاد المناصفات جميعها مطلقين من السُّخَرِ من الجانبين"[37].

ومن حرصهم على حياة فلاحيهم خاصة في ذلك الوقت لم يكن السلام دائماً مسيطراً فرحى الحرب تقوم بين الطرفين في كل وقت والهدنة لا تستمر طويلاً إلا بمقدار راحة الطرفين المتحاربين[38].

---

(36) آ. أشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبدالهادي عبله، (القاهرة، دار قتيبة، د.ت) ص389.
(37) القلقشندي، صبح الاعشي، ج14،ص32.
(38) النقاش، العلاقات بين العرب والافرنج، ص133.

أما مناطق الحدود المشتركة لم تكن دائماً آمنة ولذلك ورد في المعاهدات أنه إذا قامت الحرب بين الطرفين الموقعين على الهدنة فلا ينبغي منع الفلاحين من العودة إلى أراضيهم[39].

ولكن الغريب في الأمر أننا نجد بعض من الفلاحين المسلمين قد اتجهوا للعمل في المناطق الخاضعة لحكم الفرنج مع أن الفرنج أعداء للإسلام والمسلمين. وقد ذكر الرحالة ابن جبير في كتابه أن بعض فلاحي دولة الإسلام اتجهوا للعمل داخل الأراضي الصليبية ويرجع الأمر في نظر ابن جبير أن عدل الفرنجة وحسن معاملتهم وعطائهم المجزي جعل هؤلاء الفلاحين يتجهون إلى أراضي الفرنجة[40]، وفي هذا يقول: "أنهم كانوا مع الفرنجة – يقصد الفلاحين المسلمين – نعوذ بالله من الفتنة وذلك أنهم يؤدون نصف الغلة عند أوان ضمها، وجزية على رأس كل دينار وخمسة قراريط ومساكنهم بأيديهم وجميع أحوالهم متروكة لهم، وكل ما بأيدي الفرنجة من المدن بساحل الشام على هذا السبيل وهذه الفجائع الطارئة على المسلمين أن يشتكي الصنف الإسلامي جور صنفه المالك لهم ويحمد سيرة ضده وعدوه المالك له من الإفرنج ويأنس بعدله"[41].

وكان الفرنجة يضعون رئيساً مسلماً على الفلاحين المسلمين لحل مشاكلهم وهو الناظر في مشاكلهم ولهم أيضاً مسجد صغير يؤدون فيه صلاتهم[42].

وكان الفلاحين يخضعون لما كان لهم من محاكم وقوانين التي تُنظر في القضايا الصغرى وليس في القضايا الكبرى، مثل القتل والتي لا تتجاوز قيمة ما يُنظر فيها من الناحية المدنية قطعة فضية[43].

---

(39) القلقشندي، صبح الاعشي، ج14،ص33.
(40) ابن جبير،الرحلة، ص301.
(41) المصدر السابق،ص301.
(42) المصدر السابق، ص302.
(43) زكي محمد حسن، فنون الإسلام، (القاهرة،دار الرائد العربي، 1981) ص512.

وقد حرص حكام المسلمين مع حكام الفرنجة على ضرورة عودة الفلاحين إلـــى الأراضي التي هجروها كما جاء في نص الهدنة السابقة في البند الذي يتعلــق بعــودة الفلاحين إلى أراضيهم والتي نصت: "وعلى أن ينادي في الــبلاد الإســلامية والــبلاد الفرنجية الداخلة في هذه الهدنة: أنه من كان من فلاحي بلاد المسلمين يعود إلى بــلاد المسلمين مسلماً كان أو نصرانياً، ومن كان مسلماً أو نصرانياً من بلاد الفرنجة يعــود إليها ويكون عود الفلاح من الجهة إلى الجهة الأخرى بأمان"[44].

وبهذا قد انتهيت من بيان مناطق الحدود المشتركة وكيفية إدارتها والقوانين التي نصت في شأنها، أما ما يتعلق بالمؤسسات الخدمية التي كان لها تأثير في العلاقة بــين الطرفين فهذا ما سوف أتحدث عنه في الفصل الثالث من هذا البحث.

(44) القلقشندي، صبح الاعشي، ج14،ص61

# الفصل الثالث

# المؤسسات الخدميـة

1. الفنـــــــــادق
2. الخانـــــــــات
3. الأسواق الموسميـــــة
4. مناطق تمكيس القوافل

**1.الفنـــــــادق:**

اهتم المسلمون منذ القدم بالتجارة والتجار، وقد زاد اهتمـــامهم بعـــد أن نشـــأت علاقات تجارية بينهم وبين الغرب الأوربي التي كانت روابط التجارة بيـــنهم ترجـــع للقرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، أي قبل الحروب الصليبية ومجيء الفرنجة إلى بلاد الشام[1].

ونظراً لكثرة التجار الأوربيين، أصبح من الواجـــب تـــوفير أمـــاكن لإقـــامتهم وراحتهم وهو ما يُسمى بالفندق [2].

لعب التجار الأوربيون دوراً مهماً في الحروب الصـــليبية، وحينمـــا اســـتقروا ساهموا في تجارة الأقاليم التي تمّ السيطرة عليها، وأصبحوا بمثابة الوسيط التجاري بين الشرق والغرب متخذين المرافئ الشامية مركزاً لصفقاتهم التجارية فيشحنون منها مـــا يبتاعون من حاصلات الشرقين العربي والأقصى إلى موانئ الغرب الأوربي فازدادت حركة التجارة خاصة في الديار الشامية ولا عجب في ذلك فقد تفتحت أمامهم أمصـــار وأقطار لم يكن للغرب عهد بها[3].

ولذلك فمنذ النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشـــر المـــيلادي سُمِحَ لتجار الفرنجة بالإقامة في فنادق داخل المدن الإسلامية في الشام.

والفندق عبارة عن مبنى إسلامي في أرض إسلامية تقدمه السلطات الإســـلامية لرعايا الدول المجاورة التي تربطها بها علاقات اقتصادية، ويخصص هذا الفندق لنزول

---

(1) صبره, العلاقات ، ص91.
(2) فهمي, طرق التجارة ، ص291.
(3) النقاش, العلاقات بين العرب والافرنج، ص185.

الوافدين لإقامتهم المحدودة في المدن الشامية، ولتخزين بضائعهم وممتلكاتهم. فقد أُقيم دور أرضي جيد التهوية ومتسع لتخزين البضائع، ويوجد به فناء توضع فيه البضائع بعد فرزها لكي تنقل خارج الفندق، وكان أيضاً يسمح في الفندق للصلاة للذين يعتنقون الديانة المسيحية، وهذا يدل على التسامح الديني الذي نشأ زمن تلك الحروب(4).

وقد اعتبرت الشريعة الإسلامية أن من يقيم في الثغر أو المدينة مدة عام كامل أُعتبر ذمياً ووجب عليه أداء الجزية، ونظراً لأن مُدناً مثل: دمشق وحلب وحمص هي المحطة النهائية بالنسبة للطرق التجارية القادمة من الشرق الأقصى، لذا فقد كان على تجار الفرنجة أن يقوموا بالتعاقدات على أعمالهم التجارية هناك في فنادقهم، ثم ينقلون مشترياتهم على ظهور الجمال إلى أنطاكية وصور وعكا ومن هذه الموانئ تأتي السفن لكي تنقلها إلى أوربا(5).

وقد كان لكل فندق من هذه الفنادق مشرفاً بمثابة الرئيس الأعلى والمشرف الأعلى، وهو الذي أُطلق عليه اسم "الفنداقي" الذي من اختصاصاته الإشراف العام، وهو الذي يمثل أبناء الجالية الموجودة في الفندق أمام السلطات الإسلامية(6).

وقد حرص المسلمون على راحة وأمن هؤلاء النزلاء حيث طالبوهم بضرورة احترام عادات وتقاليد البلد الذي يقيمون فيه وضرورة إغلاق الفندق ليلاً خوفاً من حوادث السطو، ومنعوهم من التجول في شوارع المدينة أوقات صلاة الجمع والأعياد، لأن البلد تكون خالية ويخاف عليهم من اللصوص والمجرمين(7).

وقد بالغ بعض السلاطين في توفير كل سبل الراحة لهم، حيث سمحوا لهم بإقامة مخابز والمستودعات الخاصة بالمياه العذبة "خزان مياه"، وسُمح لهم بتربية الخنازير في

---

(4) فهمي, طرق التجارة، ص294.
(5) زيتون, العلاقات الاقتصادية، ص244.
(6) راشد البراوي, حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، (القاهرة،مطبعة النهضة المصرية، 1958) ص271.
(7) المرجع السابق، ص272.

حدائق فنادقهم وبشرب الخمور فيها[8].

وقد خصصت منازل بالقرب من الكنائس التي يزورها الحجاج المسيحيون لكي يقيموا فيها، مثلما جاء في الهدنة الموقع بين السلطان المنصـور قـلاوون الصـالحي وحكام الفرنجية بعكا سنة (682هـ/1283م) التي نصَّت علـى: "أن تكـون كنيسـة الناصرة وأربع بيوت من أقرب البيوت إليها لزيارة الحجاج وغيرهم من دين الصـليب ... وتكون البيوت المذكورة لزوار كنيسة الناصرة خاصة، ويكونون آمنين مطمئنـين في توجههم وحضورهم"[9].

وقد جرت العادة أيضاً أن يعطي التجار مخازن في مناطق "الجمـارك" كانـت تزود بكل الوسائل الضرورية من خزان للمياه وفرن وغير ذلك[10].

---

(8) صبحي لبيب, الفندق ظاهرة سياسـية. اقتصـادية. قانونيـة.، (القاهرة،الهيئـة المصـرية العامـة للكتاب،1986) ص389.

(9) القلقشندي, صبح الاعشي، ص14،ص61.

(10) صبره, العلاقات، ص289.

**2.الخانـــات:**

تعتبر الخانات من المؤسسات التي أدت دوراً مهماً في مجال التبادل التجـاري بين الطرفين، وهذا اللفظ يُطلق على الأماكن التي يستقر بها المسـلمون فـي الـبلاد الخاضعة لحكم الفرنجة، أي عكس الفنادق(11). فقد ذكر الرحالة ابن جبير عند وصوله إلى مدينة صور – وكانت هذه المدينة تحت حكم الفرنجة – بقوله: "فنزلنا بها في خان معد لنزول المسلمين"(12).

والخانات كمؤسسات لم تختلف من حيث تكوينها أو الغرض من إنشـائها عـن الفنادق في شيء سوى أنها مباني خدمية في أراضي خاضعة لحكم الفرنجة في بـلاد الشام وقد خصصت لتجار المسلمين(13).

والخان عبارة عن مبنى ضخم يتوسطه فناء على هيئة رواق مغطـى، حيـث يحفظ للتجار بضائعهم ويجدون فيه مأوى لهم ولدوابهم خلال رحلتهم(14).

وقد كان يوصف الخان بالقلعة لكبر بنائه وحصانته وكانت أبوابه من الحديد وقد وضح ابن جبير أحد الخانات، بقوله: "وهو في غاية الوثاقة والحسن بباب حديد علـى سبيلهم في بناء خانات هذه الطرق كلها واحتفالهم في تشييدها، وفي هذا المكـان مـاء جار يشرب إلى سقاية في وسط الخان كأنها صهريج (15).

**3.الأسواق الموسمية:**

---

(11) المرجع السابق، ص296.
(12) ابن جبير, الرحلة، ص281.
(13) يوشع, الاستيطان الصليبي، ص234.
(14) لبيب, الفندق، ص294.
(15) ابن جبير, الرحلة، ص285.

ارتبطت عمليات التبادل التجاري بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام بنوع من الأسواق، وهو ما يُسمى بالأسواق الموسمية، لأنه يقام في زمن معين ومكان معين[16].

ومن تلك الأسواق التي تُقام في الأراضي الصليبية، يوم "عيد الفصح" في مدينة القدس. ويقام هذا السوق أمام الباب الرئيسي لكنيسة القيامة، وتُباع في هذا السوق الحُلي والمسابح والصور والتحف وغيرها من المصنوعات التي نالت شهرة في بلاد الشام، وأيضاً التحف الشرقية التي يحرص الكثيرون على اقتنائها[17].

ويُعد سوق الميدان أو السهل الفسيح المعروف بأرض الأسواق في إقليم الخليل من أهم الأسواق أو المراكز التجارية في مملكة بيت المقدس، كذلك السوق الواقع في موزرب، حيث يعتبر من الأسواق الموسمية يأتي إليه المسلمون والأوربيون في صيف كل عام ومعهم كافة أنواع السلع التجارية[18].

ومن الأسواق المهمة "سوق أحد السعف"، الذي يُباع فيه سعف النخيل، وكان هذا السوق محط اهتمام التجار المسيحيين نظراً لأهمية سعف النخيل، وقد سُمي شارع تجاري باسم شارع السعف، وكان يستخدم في صناعة الفرش "الحسير" والكراسي ولوازم البيت[19].

ويوجد هناك سوق أيضاً يقام بالقرب من الكنائس المسيحية، وهو سوق الشموع، وهي ذات أهمية بالنسبة للمسيحيين لأنهم كانوا يوقدونها عند دخولهم للكنائس، وكانت ذات أحجام وأشكال وألوان متعددة، وكانت توقد طوال سماع القداس وطول المدة التي يبقون فيها داخل الكنيسة[20].

ومن الأسواق التي تُقام عند زيارة الفرنجة لبيت المقدس سوق يُسمى "سوق

---

(16) صبرة, العلاقات، ص295.
(17) النقاش, العلاقات بين العرب والافرنج، ص185.
(18) هايد, تاريخ التجارة ، ج1، ص186.
(19) صبرة, العلاقات، ص298.
(20) لبيب, الفندق، ص296.

المزامير" وهذه المزامير تستخدم في القداس المسيحي وكان هذا السوق تدب فيه الحركة والنشاط في موسم حج المسيحيين من كل سنة[21].

وقد ذكر ابن جبير كثرة الحجاج المسيحيين، بقوله: "صعدنا المركب وهو سفينة من السفن الكبار وحاز المسلمون مواضعهم بإنفراد من الإفرنج وصعده عالم لا يُحصى، ينتهي إلى أزيد من ألفي إنسان"[22].

وهناك سوق يقام في مدينة دمشق نظراً لموقعها الجغرافي الممتاز، مما جعل منها نقطة تلاقي للبضائع الواردة من بلاد فارس وبلاد النهرين، كما تعتبر نقطة تلاقي وانطلاق قوافل الحجاج الذاهبة إلى مكة "قافلة الحج الشامي"، التي كانت تضم الكثير من المسلمين من البلاد المختلفة ومعهم منتجات العرب وبضائع الهند المستوردة عن طريق عدن [23].

وقد أُتيح لدمشق أن تتلقى توابل الهند من الجهتين عن طريق الخليج العربي ونهر الفرات وعن طريق مكة وعدن، وأيضاً كانت تقيم علاقات تجارية مع مصر وبذلك تأتيها منتجات البلدان المختلفة من أفريقيا وآسيا، ونظراً لتنوع هذه البضائع من جميع البلدان أصبحت محط أنظار التجار ومركزاً مهماً من مراكز التسوق في العصور الوسطى[24].

كما وجد أيضاً سوق للغلال، وهو مكان فسيح يُباع فيه القمح والشعير وغيرها من المحاصيل التي قَدِمَ بها الفلاحون المسلمون من المناطق القريبة من دمشق[25].

ونتيجة للأعداد المتزايدة من الزوار للأسواق التجارية فقد ارتفعت إيجارات

---

(21) فهمي, طرق التجارة، ص282.
(22) ابن جبير, الرحلة، ص276.
(23) هايد, تاريخ التجارة ، ج1، ص204.
(24) الحويري،العلاقات الحضارية ،ص143.
(25) يوشع, الاستيطان الصليبي، ص222.

البيوت والمخازن التجارية في فترة الأسواق الموسمية وأحياناً يستمر ارتفاع سعر الإيجار للسنة كلها، وكل ذلك مرتبط بوصول القوافل التجارية، وهذه القوافل تزيد من مضاعفة الحركة التجارية[26].

وهناك نوع آخر من الأسواق التي انفردت به بلاد الشام خلال الحروب الصليبية كثيراً ما ورد ذكره خلال المعارك التي كانت تدور بين المسلمين والصليبيين على عهد صلاح الدين الأيوبي وهذا النوع من الأسواق عُرف باسم "سوق العسكر"[27]، اقتضت إقامته الأحوال العسكرية، فقد كان من المألوف عند تخطيط العسكر الإسلامي، إقامة خيمة السلطان ومن حولها خيم أمراء الجيش، ويشترط عند ضرب العسكر توافر المياه في أيدي المسلمين، والزاد على تلة أو قرية أو أرض سهلة[28].

وشهدت مدينة عكا معارك عدة سنة (587هـ/1191م) فقد قام معسكر للمسلمين وبجانبه نشاط تجاري كانا جنباً إلى جنب مع النشاط الحربي[29].

وذكر الرحالة عبداللطيف البغدادي (متوفى سنة 629هـ/1231م) وصفاً لهذا السوق الذي قال عنه: "كان للسوق الذي في عسكر السلطان على عكا عظيماً، ذا مساحة فسيحة، فيه مائة وأربعون دكان بيطار وعَدَدَّتُ عند طباخ واحد وثمانية وعشرين قِدْراً، كل قدر تسع غنم، وكنت أحفظ عدد الدكاكين وأظنها سبعة آلاف دكان، وكان في المعسكر أكثر من ألف حمام، وكان أكثر ما يتولاه المغاربة، يجتمع منهم اثنان أو ثلاثة ويحفرون ذراعين فيطلع الماء، ويأخذون الطين فيعملون حوضاً وحائطاً ويسترونه بحطب وحصير ويحمون الماء، وصار حماماً يغسل الرجل رأسه بدرهم أو

---

(26) هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص186.
(27) الحويري, العلاقات الحضارية، ص144.
(28) نظير حسان سعداوي, التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، (القاهرة،مكتبة النهضة المصرية، 1957) ص59.
(29) الحويري, العلاقات الحضارية، ص144.

أكثر "[30].

والغريب أن الفرنجة دخلوا لهذا السوق مع أن الحالة حالة حرب، فقد ذُكِرَ عند حصار الصليبيين لمدة عكا، أتى من قبل الملك ريتشارد قلب الأسد رسلاً طلبوا فاكهة وثلجاً، فضلاً عن التفاوض من أجل الصلح وحدث أنهم دخلوا سوق العسكر وتفرجــوا فيه وعادوا تلك الليلة إلى معسكرهم[31].

ومن الطبيعي أن سوق العسكر كان مؤقتاً يجتمع فيه التجار لمدة معينـــة، عنـــد حدوث معركة أو فرض حصار طويل فإذا ما انتهى الغـــرض منـــه أزيـــل، ورحـــل التجار[32].

---

(30) موفق الدين عبداللطيف البغدادي, كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة الحــوادث المعاينـــة بأرض مصر، ترجمة عبدالله الشيخ، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998) ص80.

(31) شهاب الدين عبدالرحمن ابي شامة, الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ترجمة أحمد البيومي، ج2 (دمشق، مكتبة الاسد، 1992) ص187.

(32) الحويري, العلاقات الحضارية، ص145.

**4.مناطق تمكيس القوافل:**

ازداد الانتعاش الاقتصادي في المدن والموانئ التي خضعت لحكم الفرنجة من جهة والحواضر الإسلامية من جهة أخرى[33]. وكانت حياة الإمارات الصليبية كإمارة بيت المقدس والرُّها وأنطاكية تعتمد اعتماداً كبيراً على التعامل الاقتصادي والاتجار مع بلاد المسلمين ولهذا فقد أتاحوا مرور التجار عبر أراضيهم، بعد أن أقاموا عليها مناطق جمركية بالمصطلح الحديث[34]. فقد ذكر الرحالة ابن جبير هذا الموضع باسم تمكيس القوافل، فقال: "وصلت القافلة إلى موضع يسمى تبنين وهو موضع تمكيس القوافل"[35].

وقد فرض الفرنجة على كل مسلم يمر من هذه المنطقة أن يدفع 1/24 من الدينار عن شخصه، أما التجار فكانوا يدفعون نفس القيمة السابقة مضافاً إليها ضريبة على ما يحملونه من بضائع تقدر بحوالي 10% من قيمة ما يحملون من سلع[36].

أما ثاني منطقة لتمكيس القوافل فهي مدينة "عكا"، التي كان فيها ديوان يسجل فيه الوارد من المبالغ التي تّم تحصيلها من القوافل التجارية التي ترد من بلاد المسلمين بعد تحصيل الرسوم على السلع التي جلبها التجار معهم وكل ذلك كان يتم برفق وتؤدة دون تعنيف ولا حمل[37].

أما ثالث المناطق الجمركية فهي مدينة طبرية، التي كانت تفد إليها القوافل بوجه خاص من مدينة دمشق، وذلك لسهولة الطريق المؤدية إليها أولاً ولقرب المسافة بينهما

---

(33) عطية, الشرق والغرب، ص108.
(34) سيد علي الحريري, الحروب الصليبية أسبابها ونتائجها، (بيروت،دار التضامن، 1988) ص80.
(35) ابن جبير, الرحلة، ص274.
(36) المصدر السابق، ص275.
(37) ابن جبير, الرحلة، ص276.

ثانياً[38].

وتعتبر مدينة طبرية أهم مدن نهر الأردن وهذا الموقع جعل منها مدينة تجارية ومنطقة لتمكيس القوافل[39].

وتوجد أيضاً مدينة مهمة وكانت منطقة جمركية، وهي مملكة بيت المقدس، فتدخلها عن طريق غزة وتصعد نحو الشمال الشرقي لتخرج ثانية عند بحر الجليل "بحيرة طبرية" كما أن بعض القوافل التجارية الإسلامية القادمة عن طريق البحر الأحمر – وهي قوافل التجارة القادمة من مكة وعدن، أو التجارة القادمة من الشرق الأقصى عبر المحيط الهندي وبحر العرب، ثم البحر الأحمر، ثم إلى جدة – فإنها تضطر إلى دخولها إلى نهر الأردن عن طريق الغور وطريق الغور تتحكم فيه قلعتا الكرك وشوبك وبذلك كانت التحكم بالقلعتين يعني التحكم في الطرق التجارية التي تربط بلاد الشام بشبه الجزيرة العربية من جهة وتجارة الشرق الأقصى القادمة عن طريقها من جهة أخرى.

ولذلك فإن السلع التجارية الآتية من مصر إلى دمشق تخضع لرسوم مرور وأيضاً السلع الأخرى الذاهبة أو العائدة من الطرق التي لابد لها المرور ببيت المقدس، فإن هذه القوافل كانت تأتي للخزانة في بيت المقدس، بعوائد كبيرة[40].

أما مدينة أنطاكية فقد أقام فيها الفرنجة منطقة جمركية على جسر نهر العاصي، في المنطقة المعروفة الآن بجسر الحديد على طريق أنطاكية – حلب، وكان تجار مدينة بيزا الإيطالية يتوجهون إلى مدينة حلب ببضائعهم وكانوا يدفعون رسوماً جمركية في أنطاكية لكي تتم تصدير بضائعهم إلى الغرب الأوربي ومصر عن طريق ميناء إمارة

(38) المصدر السابق ، ص282.
(39) هايد, تاريخ التجارة، ج1، ص174.
(40) باركر, الحروب الصليبية، ص46.

أنطاكية على البحر المتوسط وهو ميناء اللاذقية [41].

وهنا ينبغي أن ننبه إلى أن هذه المناطق الجمركية لم تكن دائمة، لأن الحدود بين الطرفين المتصارعين لم تكن ثابتة فكل طرف يحاول انتزاعه من الطرف الآخر المدن والقلاع والحصون عندما ينتصر في معركة من المعـارك، ولـذلك فـإن المنـاطق الجمركية هذه التي يرجع أول ذكر لها في القرن السـادس الهجـري/الثـاني عشـر الميلادي، ضمت مدناً مشهورة، وأيضاً ضمت مدناً أو قرى، مثل: الداروم، والمرقب، والجسر، وبرج السبع [42].

وهنا يتبادر سؤال في ذهن القارئ، وهو: إذا كان الفرنج قـد أقـاموا منـاطق جمركية في المدن والموانئ الإسلامية التي استولوا عليها، فما هـو الحـال بالنسـبة للمسلمين من أبناء البلد؟.

كان للمسلمين ديوان خاص بالجمارك في كل ثغر من ثغورهم وهو الذي عُرف بديوان الخمس، حيث تحصل فيه ضرائب جمركية على السلع المسموح باسـتيرادها، وهذه الضرائب كانت تتراوح ما بين 10% و20%، ولأن الشرع الإسلامي قد أبـاح للحاكم المسلم أن يحصل على ضريبة تجارية تصل إلى 30% فإن الاسم الشائع لهـذا الديوان هو ديوان الخمس[43].

ونلاحظ من هذه الضريبة التجارية أن المسلمين كانت لديهم خبرتهم فـي هـذا المجال وقد اقتبس الفرنج هذا النظام منهم خلال إقامتهم في بلاد الشام[44].

لقد ذهب المسلمون في عقد الاتفاقيات إلى ما هو أبعد من فـرض الضـرائب والرسوم، فقد عُرف عند الاتفاقيات التي يبرمونها ما يُعرف بـ "معاقد الهدنـة" وهـو اتخاذ الاحتياطات والإجراءات اللاَّزمة التي تطمئن الطرفين وتضمن لهما مصـالحهما

---

(41) هايد, تاريخ التجارة، ج1، ص184.

(43) ابن عدبالظاهر, تشريف الأيام، ص161.
(44) كمال, الدبلوماسية الاسلامية، ص204.

وحقوقهما، وذلك عن طريق شهادة الشهود من الجانبين على الالتزام بها، وكثيراً ما كانت شهادتهم تثبت مع كتاب الهدنة أو الاتفاق[45].

وتعد فترة الحروب الصليبية واحتكاكهم بالإفرنج والازدهار في العلاقات التجارية بين الشرق والغرب التي لم تشهده المنطقة من قبل كل هذا أدى إلى تطور في نظام الجمارك "تمكيس القوافل" عندهم[46].

كانت الرسوم الجمركية واضحة ومعروفة بل ومتفق عليها من قبل الطرفين مثلما جاء في المعاهدة التي عقدها السلطان الظاهر بيبرس مع الإفرنج عام (667هـ/1268م) والتي جاء فيها: "لا يجدد على أحد التجار المترددين رسم لم تجر به عادة، بل يجرون على العوائد المستمرة، والقواعد المستقرة من الجهتين"[47].

وقد استثنت الرسوم الجمركية معدني الذهب والفضة نظراً لأهميتها الماسة، فقد تم تشجيع تجار الفرنج على إحضارهما[48] وبينت المعاهدات التي جرت بين الطرفين كيفية معاملة التجار في هذه الحالة، أي عندما يجدون الذهب والفضة في أمتعتهم.

وجاء في البند الثاني من مرسوم السلطان المنصور قلاوون إلى تجار البندقية، الذي تم تجديده في عهد ابنه الناصر محمد بن قلاوون سنة (701هـ/1301م) أنه: "فيما يتعلق بالذهب والفضة واللآلئ والأحجار الثمينة والفراء والأشياء الأخرى المشابهة لها، أنه لا يستحق عليها ضرائب جمركية، ما عدا ذلك الذي يسك منها في دار السكة، وفي هذه الحالة فقد تفرض عليها رسوم طبقاً لما جرى عليه العرف"[49].

كذلك نصت بنود المعاهدات على إعفاءات جمركية على من يتمتعون بحصانة دبلوماسية مثل وقتنا الحاضر، وهم قناصل الجاليات الفرنجية، التي أقامت داخل المدن

---

(45) المرجع السابق، ص205.
(46) صبرة, العلاقات، ص273.
(47) القلقشندي, صبح الاعشي، ج14، ص63.
(48) صبرة, العلاقات، ص285.
(49) القلقشندي, صبح الاعشي، ج14، ص62.

الإسلامية[50].

مثل ذلك ما جاء في البند الرابع عشر من المعاهدة السابقة الذكر والتي جاء بيانها: "على أنه بشأن ما جاء به العرف فيما يتعلق بمعاملة قنصل البندقية وإعفائه من ألف بيزنت كل عام دخوله وخروجه، فقد أمر السلطان بشموله برعايته وأن يتمتع بذلك الإعفاء حسبما جرت به العادة في ذلك"[51].

نجد أيضاً أن السلطات الإسلامية أوجدت نوعاً من النظام وذلك لغرض عدم تكدس البضائع داخل المناطق الجمركية، فقد عملت على تسهيل الإجراءات الخاصة بالتخليص الجمركي عليها، وحثت تجار الفرنجة على سرعة التخليص على بضائعهم التي تم وزنها[52]، أما إذا تأخر التجار عن دفع الرسوم التي كانت قد قررت على بضائعهم، يقوم موظفو الجمارك بتفريغ تلك البضائع نظير إلزام أصحابها بدفع رسوم تم الاتفاق عليها[53].

وسمحت أيضاً السلطات الإسلامية لتجار الفرنجة بشراء البضائع التي يرغبون فيها من التجار المسلمين داخل الجمرك مع دفع رسوم إضافية بسيطة، وأجازوا لهم بيعها مرة أخرى بأية زيادة يطلبونها، وقد حرصت الاتفاقية التي جرت بين المنصور قلاوون وتجار البندقية، والتي منحهم فيها بعض الامتيازات التي منها: "إذا أعجب أحد التجار البنادقة ببضائع في الجمرك ورغب في شرائها فإنه يستطيع ذلك بزيادة بسيطة، وله أن يتسلمها في مخزنه وأن يبيعها بعد ذلك متى رغب ولا يطالب الذي اشتراها برسوم جديدة حتى لو باعها بسعر أزيد من الذي اشترى به، كما لا تطلب منه رسوم على زيادة السعر"[54].

---

(50) صبرة, العلاقات، ص285.
(51) القلقشندي, صبح الاعشي،ج14، ص108.
(52) صبرة, العلاقات، ص288.
(53) كلود ،الشرق والغرب، ص108.
(54) القلقشندي, صبح الاعشي، ج14، ص63.

وحرصت السلطات الجمركية الإسلامية أيضاً على تأمين التجار على أنفسهم وأموالهم وعدم التعرض لها مطلقاً حتى لا يكون لديهم شك في حسن معاملة السلطات لهم، بل أنها كانت تحرص على تعيين الكثير من الحراس والخدام لحماية وحراسة بضائعهم داخل المناطق الجمركية[55].

وإن دلت مثل هذه الإجراءات على شيء فإنها تدل بلا شك على أن السلطات الإسلامية قد وضعت في تلك الفترة من العصور الوسطى ما سجل لها السبق على كثير من الأمم في عصرنا الحديث، بما يؤكد مدى ما وصلت إليه العقلية الإسلامية من سمو في التفكير[56].

(55) نعيم , طرق التجارة، ص314.
(56) سعداوي، الحرب والسلام،. ص170.

# الفصل الرابع
# النظام المالي

1. **الأعمال المصرفية والصيارفــــة.**
2. **العملات الإسلامية والصليبية.**
3. **آثار التبادل التجـــــــــاري.**
4. **ما تعلمه الفرنجة من المسلمين.**

### 1.الأعمال المصرفية والصيارفة:

بالنظر للازدهار التجاري والتبادل الاقتصادي بين المسلمين والفرنجة في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، فقد وجب على الطرفين وجود أعمال مصرفية تخدم المصالح التجارية بينهما[1].

كانت أغلب مدن الشام يوجد فيها سوق للصرافين، أو خان للصرافين على الأقل، فقد كان بمدينة القدس سوق كبير للصرافين، والسبب يرجع إلى الكم الهائل من السُيَّاح والحجاج والتجار الوافدين من شتى أنحاء أوربا، وهذا السوق كان يقع عند إلتقاء شارع داود بشارع باب المحراب، الذي يُطلق عليه اسم شارع المعبد[2].

لقد كانت طريقة التعامل المالي في أسواق الصيارفة أن يُعطي التاجر المال للصراف ويحصل منه على صك بما دفعه، وكلما اشترى بضائع سدد ثمنها بهذه الصكوك، وهذه الطريقة تُعرف في وقتنا الحاضر باسم "الشيكات المحولة"[3].

وتوجد طريقة أخرى للتعامل المالي بين التجار، وهي ما يُعرف الآن "بالسندات المالية المؤجلة" وهذه الطريقة يستفيد بها التاجر من استغلال رأس المال كله في التجار وسداد هذه المبالغ تتم بعد عملية بيع بضاعته، حيث يقوم الصيارفة بتحصيل المبالغ المطلوبة لقاء عمولة أو مرتبات متفق عليها، ويستفيد من هذه العملية كل من المُقْرِض والمُقْتَرِض والوسيط في نفس الوقت، وفي هذه العملية يضمن المتعامل وصاحب رأس

---

(1) Antony Bridge : The Crusades, Granda, London, 1980, p. 130.

(2) مجيرالدين الحنبلي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس، ج1(عمان،مكتبة ونديس، 1999) ،ص403.

(3) فهمي, طرق التجارة، ص342.

المال حقوقه بلا عناء[4].

كانت من بين أعمال الصيارفة القيام باستبدال العملات المختلفة التي كانت ترد مع الحجاج المسيحيين من أنحاء الغرب الأوروبي وغيرها من البلاد وذلك لزيارة الأماكن المقدسة لدى المسيحيين والموجودة في بلاد الشام ومصر[4].

وقد استخدمت أيضاً طريقة "الدفاتر" فقد نصت كثير من المعاهدات على استخدام نظام الدفاتر في حساباتهم وأن يختار الفرنجة كاتباً ملماً باللغة العربية ليقوم بمصاحبتهم طوال إجراءات البيع ويسجل عليهم مبيعاتهم[5].

واستخدم المسلمون أيضاً في تجارتهم مع الفرنجة نظام "السندات المالية المحولة" للغير، واقترن ظهور هذه الطريقة بزيادة النشاط التجاري بين الشرق والغرب فترة الحروب الصليبية، فقد كان من مميزات هذه الطريقة أنها تحفظ الأموال من الضياع نتيجة لسفر التاجر ومخاطر الطريق التي يكثر فيها قُطاع الطرق، وبهذه الطريقة يحصل التاجر على سند مكتوب فيه ما أودعه من مبلغ، وبهذا السند يستطيع أن يحصل على قيمة السند بعد أن يصل إلى المكان الذي ينوي الذهاب إليه[6].

كان للمسلمين خبرة واسعة بنظام سجلات الحسابات التي كثر استخدامها لدى التجار والصيارفة والتي كانت موضع ثقة الجميع ولا تقبل النقض[7].

وكان نظام "المقارضة" معروفاً في مدة الحروب الصليبية، فهذا النظام يشترك فيه اثنان صاحب رأس المال والمستثمر ونسبة الربح تُقسم بينهما بنسبة يتفق عليها كلا الطرفين.

وقد نصَّت الشريعة الإسلامية بجواز التعامل بنظام المقارضة وعَرَّفته

---

(4) الحنبلي, الانس الجليل، ج1، ص403.

(5) فهمي, طرق التجارة، ص345.

(6) المرجع السابق ، ص347.

(7) العسقلاني، انباء الغمر، ، ج2، ص132.

بأنه عقد بين اثنين يضمن أن يدفع أحدهما للآخـــر ما لا يملكـــه ليتجر فيـــه بجـــزء شائـــع معلوم من الـــربح كالنصـــف أو الثلـــث أو الربـــع أو نحوهمـــــا بشـــرائط مخصوصة[7].

وذكر الرحالة ابن جبير هذا النظام المالي في حديثه عن اثنين من كبار تجـــار المسلمين في دمشق، الذين تعاملوا بنظام المقارضة قوله: "... مـــن مياســـر التجـــار وكبرائهم وأغنيائهم المنغمسين في الثراء تجارتهما كلها من هذا الساحل الإفرنجي ولا ذكر فيه لسواهما ولهما الأمناء مـــن المقارضـــين قـــدرهما عنـــد أمـــراء المســـلمين والإفرنجيين خطير"[8].

ولم يكن نظام المقارضة سانداً بين المسلمين فقط بل كان الفرنجة يتعاملون بـــه أيضاً، فقد كان أبناء الطوائف الدينية العسكرية، التي تنتمـــي إلـــى الصـــليبيين مـــن الأسبتارية والمعروف عنها أنها تملك أشد الفرسان وأكثرهم حقداً على الإسلام حتى أن صلاح الدين الأيوبي كان لا يبقـــى على أحدى من الإسبتارية إذا وقع في الأســـر[9]. و"الداوية" الذين كانوا أبغض أجناس الفرنج إلى السلطان صلاح الدين، فقد كان لا يكاد يترك منهم أحداً إلا قتله[10].

والواقع أن صلاح الدين كان صائباً في رأيه في كرهه لهاتين الهيئتـــين وذلـــك لتخلي فرسانهم عن جميع المبادئ الإنسانية، ولأنهم أشد شوكة على المسلمين من جميع الفرنج[11].

وبالرغم من حقد هاتين الهيئتين على الإسلام، فقد نشأت علاقات اقتصادية بين

---

(7) عبدالرحمن الجزيري، تاريخ الفقه علي المذاهب الأربعـــة، ج3 (اســـتانبول،مكتبة الحقيقـــة، 1970) ص43.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص281.

(9) ابو الفداء الحافظ بن كثير،البداية والنهاية،ج12،(بيروت ،المكتبة العصرية،1980) ص330.

(10) المصدر السابق، ،ج12، ص330.

(11) ابن الأثير، الكامل،ج9، ص183.

هاتين الهيئتين والمسلمين، حيث كانت الداوية يمارسون بانتظام عملية إقراض الأموال نظير فائدة مرتفعة، ومع أنهم لم يكونوا موضع ثقة من الناحية السياسية فإن سمعتهم المالية بلغت من الشهرة حداً مما جعل المسلمين يولونهم ثقتهم ويفيدون من خدماتهم[12].

وكانت هاتان الهيئتان تقرضان المسلمين والفرنجة على حد سواء نظير أرباح اشترطوها على كل من يقترض منهم، ولم يفرقوا بينهم مادامت تتحقق لهم أرباح نتيجة لهذا الإقراض.

وكان الصيرفي الفرنجي بمثابة الوسيط بين العملات الأوروبية وغير الأوروبية على حين كان نظراؤهم في الجانب الآخر هم الصيارفة البلديون الذين تخصصوا في العملات الشرقية[13].

---

(12) الحويري، الاوضاع الحضارية، ص67.

(13) Josha Prawer, The World of the Crusaders, New York, 1972, p. 214.

## 2.العملات الإسلامية والصليبية:

عرفت المدن الإسلامية إلى جانب العملات المحلية من الدينار الذهبي والدرهم الفضي، فقد تنوعت النقود بتنوع الأجناس التي كانت تفد إلى بلاد الشـــام[14]. كانـــت العملات التي عرفت في الغرب الأوروبي متداولة ومعروفة في كثير من مـــدن بـــلاد الشام، مثل بيت المقدس ودمشق وحلب، وعلى سبيل المثال فـــإن العمـــلات الفضـــية الألمانية كانت معروفة ومستعملة في بلاد الشام وهذه العملات كان يوضع عليها علامة الصليب[15].

كما كان أبناء المدن الإيطالية يستخدمون في معاملاتهم في الشـــرق الإســـلامي عملة "الفلورين" وهي عملة مدينة فلورنسة الذهبية، وهي عبارة عن دنانير يؤتى بهـــا من البلاد الإفرنجية، معلومة الوزن وهذه الدنانير مشخصة على أحد وجهيها صـــورة الملك، الذي تضرب في زمنه، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس الحـــواريين اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام إلى رومية[16].

وكانت من ضمن العملات المتداولة "الدوكات الذهبية"، وهي عملة سكَّتها مدينة البندقية عام 694هـــ/1294م، وهي من أهم العملات التي تدفقت على بـــلاد الشـــام، ويرجع سبب هذا إلى شدة ارتباط التجارة بين البندقية وبلاد الشام، فقد حمل الحجـــاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة عملة البندقية، وهي الدوكات[17].

---

(14)Felix Fabri، The Book of the Wandering of Felix Fabri, London, 1892, vol. II, p. 138.

(15) البراوي، حالة مصر الاقتصادية ، ص150.

(16) القلقشندي، صبح الاعشي،ج3، ص437,

(17) نقولا زيادة ، دمشق في عصر المماليك، (بيروت،دار الكتاب اللبناني، 1966) ص168.

ويرجـــع سبب أهمية هذه العملة في بلاد الشام إلى ثبات نسبة الذهب في مدينة البندقية وتفوقهـــا على غيرها من العملات في ذلك الوقت، فقد كان الدينار الإســـلامي آخذ في التناقص مما أفقده الصدارة أمام تلك العملـــة، والتـــي كانـــت ثابتـــة الـــوزن والعيار[18].

واستطاع الفرنجة تقليد الدينار الإسلامي، وسكوا مجموعة من الدراهم الفضـــية تقليداً للدراهم الإسلامية وعليها كتابات ونقوش باللغة العربية، لكن مـــا يميزهـــا عـــن الدراهم الإسلامية وجود الصليب في وسطها في بعض الأحيان، وأول ظهـــور لهـــذه الدراهم تلك التي سكوها تقليداً لدراهم الملك الظاهر غازي (613هــ/1216م) الـــذي كان يحكم حلب ونقشوا عليها تاريخ ضربها واستمر الصليبيون يقلدون دراهم الظـــاهر غازي بعد وفاته بربع قرن[19].

والعجيـــب أن يستمر سك الفرنجة للعملات المقلدة حتى بعـــد وفـــاة الخلفـــاء والملوك، والســـبب يرجـــع إلى أن هذه الدراهم كانت مـــن عمـــل بعـــض الأســـرى المسلمين، الذين وقعوا فـــي أيدي الفرنجة، وظلوا محبوسين في بلادهم بعيـــدين عـــن مراكز الأحداث السياسية في المدن الإسلامية، لذلك لم يعلموا بوفـــاة هـــؤلاء إلا بعـــد حين[20].

كانت هذه النقود الصليبية المقلدة معترفاً بها في الشرق كله، كما كان تقليدهم لهـــا لتسهيل المعاملات التجارية بينهم وبين المسلمين ولتثبيت أقدامهم بالأراضي المقدسة ولدفع الفدية في حالة الحرب نتيجة لأسر جنودهم، وكان التعامل بهذه النقود المقلدة يتم في عقود البيع والشراء للأراضي، كما كان يكثر استعمالها في الزيجات الملكية الكبرى، أما بالنسبة للأسرى الصليبيين فكان الإفراج عنهم لا يتم إلا بدفع مبالغ ضخمة من تلك النقود الذهبية

---

(18) القلقشندي، صبح الاعشي،ج3، ص413.

(19) رافت النبراوي، النقود الصليبية في الشام ومصر، (القاهرة،مكتبة القاهرة للكتاب، 2001) ص244.

(20) المرجع السابق، ص245.

دون غيرها من أنواع النقود الأخرى[21].

وقد وجدت مجموعة من الدراهم ضرب الفرنجة عليها كتابات عربية تحمل اسم الملك العادل (615هـ/1218م). فقد قلد الصليبيون دنانير الملك العادل ورقعوا عند عملية التقليد على أخطاء كتابية، وقد وجد من هذه الدنانير تسعة نماذج قليل منها يحمل تاريخ سكة كاملاً وهذه الدنانير محفوظة بدار الكتب القومية بالقاهرة[22].

أما النقود الفضية الصليبية ذات العبارات المسيحية المسجلة باللغة العربية فقد احتفظت بخصائص الدولة الأيوبية من حيث شكلها العام، كذلك الخط فقد استخدم الصليبيون خط النسخ مع اختلاف مضمون الكتابات فبدلاً من الكتابات العربية الإسلامية أضحت كتابات ذات مضمون مسيحي لكن باللغة العربية[23].

وكانت لكل إمارة من إمارات الفرنجة عملتها الفضية الخاصة بها، والتي تمَّ سكها في عهود بعض حكامها، فقد كان حكام طرابلس اللاتين يسكون عملة فضية، وهي التي كانت تُسمى في المصادر العربية بالقراطيس، أما العملات الذهبية التي كانت تضرب فيها، فهي البيزنت [24].

نتيجة لهذا الخليط من العملات التي كانت موجودة إلى جانب العملات في الشرق العربي والعملات الأوروبية فقد كانت هذه العملات تختلط بالمدن وبخاصة البحرية منها بعملات المسلمين، في بلاد الشام وفارس وبلاد ما بين النهرين، فهذا التبادل يحدث بشكل يومي[25].

---

(21) النبراوى،النقود الصليبية، ص246.

(22) النبراوي، النقود الصليبية، ص223.

(23) المرجع السابق، ص224.

(24) السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي، (الاسكندرية،مطابع رمسيس،1967) ص204.

(25) قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي قضية الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، ( بيروت، دار الكتاب العربي ، 1929) ص224.

**اثر التبادل التجاري:**

إن التبادل التجاري بين المسلمين والفرنجة كان له أثرا كبيرا، في حالة الانتعاش التي شهدها المجتمع الإسلامي في بلاد الشام وخاصة في المدن، فعلى الرغم من الظروف القاسية التي مرت بها كثير من مدن الشام في تلك الفترة إلا أنه يبدو أن نسبة كبيرة من أهلها اتسعت ثرواتهم وظهرت عليهم علامات النعمة[26].

وقد أدى تشجيع بعض سلاطين المماليك للتبادل التجاري بإعفاء التجار من دفع المكوس، كذلك بتخفيض أسعار السلع للإكثار من عدد التجار الذين يترددون على البلاد لشراء ما يصل إليهم من منتجات البلاد الأخرى والسلع التي يتم إنتاجها محلياً[27].

وقد قرر سلاطين المماليك أيضاً أن يحمل التجار الأجانب جوازات يبرزونها إلى السلطات الإسلامية كلما دخلوا منطقة من المناطق، وتعتبر هذه الجوازات بمثابة أمر من السلطان بتسهيل سفر هؤلاء التجار وتأمينهم والعمل على راحتهم طوال مدة تواجدهم في أملاك السلطان[28].

وبالرغم من كثر الحروب التي نشبت بين المسلمين والفرنجة فقد عرفت مسيرة القوافل الإسلامية التي تأتي إلى بلاد الشام أو تخرج منها، إلا أنها من ناحية أخرى ضاعفت النشاط التجاري مع الغرب الأوروبي بوجه خاص عن طريق الموانئ البحرية التي سيطر عليها الفرنجة في بلاد الشام ولذا فقد كان العامل التجاري يدفع المسلمين

---

(26) ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي دهان،ج2 (دمشق،المعهد الفرنسي،د.ت) ص257.

(27) شهبة ، الكواكب الدرية ، ص46.

(28) ابن عبدالظاهر ، تشريف الأيام ، ص52.

والفرنجة سواء إلى عقد هدنة أو صلح ليتمكن الطرفان مـــن اســتئناف التجــارة دون عائق[29].

ومن أمثلة هذه الهدنة ما ذكره المؤرخ ابن القلانسي، من أن الأمير ظهير الدين أتابك دمشق قام بالاتصال بملك بيت المقدس بلدوين وقال له: "لتعمـــر لأعمـــال بعـــد الإخراب وتأمن السوابل من شر المفسدين والحراب فاســتقرت هــذه الحــال بينهمــا واستحلف كل منهما صاحبه على الثبات والوفاء وإخلاص المودة والصــفاء وأمنــت المسالك والأعمال وصحت الأحوال وتوفر الاستغلال"[30].

وقد حرص حكام المسلمين على قيام علاقات سلمية مع الفرنجة كي يتم التبادل التجاري بين الطرفين لما فيه مصلحة مشتركة[31].

لقد كانت للمصالح التجارية تأثير قوي في تفضيل علاقات سلمية حتى في أيـــام السلطان صلاح الدين الأيوبي حتى كان الأخير يدخل في مفاوضات سلام مـــن أجـــل الصلح مع الفرنجة ولعل الدافع إلى ذلك سوء الأحوال الاقتصادية الناتجة عـــن كثـــرة الحروب التي خاضتها البلاد ضد الفرنجة وما نجم عنها من نفقـــات هائلـــة وأزمـــات اقتصادية بسبب كثرة العمليات الحربية، كما لم يكن للفرنجة أنفسهم بأقل رغبة للســـلام لنفس الأسباب، فعندما ساد السلام لفترات متقطعة انصرفت جهود الطرفين إلى تـــدعيم العلاقات التجارية بينهما[32].

ويجب هنا أن أعلق على ما قاله رنسيمان أن المسلمين كانوا يفضلون المصالح التجارية على تحرير بلادهم من دنس الصليبيين، فقد جاء الفرنجة لأغراض اقتصادية والدليل على ذلك أن البابا أوربان الثاني حين جمع الصليبيين في مجمـــع كليرمونـــت وقال لهم "فالحياة هنا أضحت تعسة كثيرة الشرور، بعد أن أضنى الناس أنفســـهم فـــي

---

(29) عاشور، اوروبا العصور الوسطى، ص226.

(30) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص190.

(31) ابن الأثير، الكامل ،ج9، ص113.

(32) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج3، ص9.

تدمير أجساد أرواحهم واستبد بهم هنا الفقر والبؤس وسوف ينعمون هنـــاك بالســـعادة والرخاء".

وحرص الفرنجة على التبادل التجاري مع المسلمين حتى أنهم سمحوا للتجـــار المسلمين بالقدوم بمتاجرهم إلى الموانئ التي خضعت لحكمهم على الســـاحل، فطائفـــة الداوية بما اشتهرت به من نشاط مصرفي ضخم أبدت استعدادها للتوسع في أعمالهـــا المصرفية حتى تحمل العملاء المسلمين على الاشتراك فيها، واتخذت عُمالاً وموظفين اختصوا بأمور المسلمين(33).

وقد كان التجار المسلمين يطلبون حماية جماعة معينة في بلاد الفرنجة، وذلـــك بسبب الصراعات التي شهدها مجتمع الفرنجة للتنافس الشديد بين طوائفه المختلفة، فقد كان تُجَّار الموصل عندما يذهبون إلى عكا يطلبون أن يكونوا تحـــت حمايـــة فرســـان الداوية وسرعان ما التزم الجانبان بمعاهدات تمنع إتلاف الأشجار وإبـــادة المحاصـــيل الزراعية وتقيدوا بها في أغلب الأحيان بأمانة وإخلاص(34).

وذكر أنه في مدينة بانياس كانت توجد بطحاء أرض سهلية وعمالة تلك الأرض السهلية مختلطة بين الإفرنج والمسلمين لهم في ذلك حد يُعرف بحـــد المقاســـمة، فهـــم يتشاطرون الغلة على استواء مواشيهم مختلطة ولا حيف يجري بينهم(35).

وأدرك المسلمون بأهمية قرب الموانئ التي تخضع للفرنجة فيما يعود عليهم من مزايا تجارية فلم يرضوا أن يخاطروا بقطع طريق التجـــارة بـــين الشـــرق والغـــرب فحرصوا على أن يكفلوا لرعاياهم الرخاء المادي(36).

---

(33) charters, Ahistory of the expedition ., p130.

(34) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج2،ص511.

(35) قلعجي، الصراع بين الشرق والغرب، ص610.

(36) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص273.

ولقد أعلن أبناء المدن التجارية في صراحة ووضوح أن أول ما يهمه هو التجارة، فكان التجار يقولون أنهم تجار قبل أن يكونوا مسيحيين، فقد استمرت سياستهم على استمالة ودّ المسلمين للاستمرار في التجارة والحصول على الإعفاءات والامتيازات التجارية، والمسلمون يستجيبون لهذا بالقدر الذي تبديه هذه الدول من حسن النية والرغبة في المتاجرة[37].

(37) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج3، ص365.

**4.ما تعلمه الفرنجة من المسلمين:**

نظراً لطول المدة التي مكثها الصليبيون في الشرق، فكان لابد من وجود تفاعل مع الحضارة الإسلامية من جميع جوانبها، فعلى الرغم من أن معظم المشـاركين في الزحف الصليبي كانوا من عامة الناس إلا أن معايشتهم الطويلة للحياة الشرقية أهلـتهم للاستفادة من حضارة المسلمين[38]، وهنا نذكر بعض من أقوال المؤرخين الأوروبيـين حول الحضارة الإسلامية.

قال غوستاف لوبون: "... لم تكن الحروب الصليبية التي كان يتمخضها العـالم سوى نزاع عظيم بين أقوام من الهمج ويقصد الفرنجة وحضـارة تعـد مـن أرقـى الحضارات التي عرفها التاريخ"[39].

يجدر بنا أن نذكر أيضاً نصاً للمؤرخ الفرنجي فوشيه دي شـارتر الـذي أرخ للحملة الأولى والذي عبر في نصه هذا عن مدى تأثر الصليبيين بالحياة في المشـرق الإسلامي حيث يقول: "... الآن صرنا نحن الذين كنا غربيين شرقيين، من كـان منـا إيطالياً أو فرنسياً أصبح في هذه البلاد جليلياً أو فلسطينياً، لقد نسينا الأماكن التي ولدنا فيها"[40].

لابد هنا أن أذكر شهادة المؤرخ والعالم الألماني هايد في رقي وحضارة العرب الذي يقول: "... ولكن سرعان ما تبين للجميع خلال الحروب التي دارت بين العـرب والفرنجة اهتمام هؤلاء بالحقول المزروعة والسكان المسالمين المقيمين بـالأرض ... وكان لابد لنا من التسليم بأن هذه الأمة الجديدة التي برزت بين الأمم العظيمة قد بلغت

---

(38) الربيعي، أثر الشرق الإسلامي ، ص38.

(39) غوستاف لوبون ، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، (القـاهرة، دار احيـاء الكتـب العربيـة، 1945)، ص347.

(40) الشارتري ،الحملة الى القدس ، ص21.

بالفعل درجة مرتفعة من المدنية وأنها قادرة على مزيد من التقدم"[41].

وأيضاً ما ذكره المؤرخ الفرنسي جيبون، بقوله: "أن الغرب كانوا في المرتبة الثالثة في العالم آنذاك أي في فترة الحروب الصليبية[42].

ولم يكن يعلم البابا أوربان الثاني وهو يعلن افتتاح مشروعه الصليبي أنه وبعد عقود قليلة سيتمشرق أولئك الغزاة وأن المقولة القائلة بأن المغلوب مولع بتقليد الغالب لا تصدق إلا في حالة أن يكون ذلك المغلوب أقل حضارة من الغالب وهو أمر انتفى في حالة الصراع الإسلامي الصليبي[43].

إن المصالح التجارية التي أقامها الفرنجة مع المسلمين في بلاد الشام كان لها أثرها المباشر في حياة الفرنجة سواء أثناء إقامتهم في بلاد الشام أو في حياة الذين ارتحلوا إلى الغرب الأوربي ونقلوا معهم الكثير مما تعلموه، مما لم تعرفه حياتهم في أوطانهم الغرب[44].

ونتيجة لهذا الاتصال المباشر مع المسلمين، فقد تأثر الصليبيون بالمسلمين في جوانب عدة، ونقلوا ذلك التأثير للقارة الأوروبية[45]. وأبرز هذه الجوانب التي تأثر بها الفرنجة هو الجانب الديني فمن الغريب أن الفرنجة الذين جاؤوا إلى بلاد الشام لكي يحموا الدين المسيحي من وجهة نظرهم، نجد أن عدداً من مقاتلين الفرنجة وخاصة من أشد الفرق حقداً على المسلمين، وهي فرسان الداوية قد اعتنقوا الإسلام لما رأوا في هذا الدين من الرقي والسماحة والحضارة، وقد قدر عدد الذين اعتنقوا الإسلام خلال أحداث الحروب الصليبية الواقعة بين عامي (542-544هـ/1147-1149م) بحوالي ثلاثة

---

(41) هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص40.

(42) زبيدة عطا، ، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، (القاهرة،دار الامين للنشر والتوزيع، 1994) ص153.

(43) عوض، سندباد ،ص138.

(44) رنسيمان، الحروب الصليبية، ج3، ص19.

(45) عوض، سندباد، ص139.

آلاف شخص[46].

ولكي يقترب الفرنجة من تعاليم الدين الإسلامي، خاصة لما رأوا من رقي في التعامل مع الأسرى، ولهذا فقد قاموا بمحاولة ترجمة القرآن الكريم، فقد شهدت طليطلة عام (538هـ/1143م) أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم وهو يعد أمراً مهماً من أجل اقتراب الأوروبيين من الإسلام[47].

أما بخصوص سلطة الكنيسة الروحية لدى الفرنجة، فقد أدرك الفرنجة أن عالم الدين في العالم الإسلامي، لم يكن له سلطان روحي مثل البابا، لذلك حاولوا الحد من سلطات البابا وفصل الدولة عنه، ولهذا نجد أن دستور إنجلترا المتين يعتبر نتيجة بعيدة وأثراً من آثار الحروب الصليبية[48].

أيضاً تعتبر الإصلاحات التي شهدتها فرنسا والتي أدخلها لويس التاسع، وقد جاءت نتيجة لمشاهداته التي رآها بمصر والشام عندما ذهب إلى المشرق، متزعماً الحملة الصليبية السابعة.

أما فريدريك الثاني الذي يعتبر أعظم ملوك أوربا تشبعاً بالحضارة الإسلامية، نتيجة لنشأته في صقلية بالحضارة العربية فقد رتبَّ أمور الدولة ترتيباً أجمع المؤرخون على أنه كان حجر الأساس في تكوين الدولة الحديثة وفصل بين السلطة القضائية والتشريعية التي كانت من خصائص الملك وحده،وقضى على سلطة الكهنوت وكان محباً للثقافة الإسلامية وهو ما دعا البابا أنوسنت الثالث إلى حرمانه والحكم بإلحاده[49].

أما تأثر الفرنجة من ناحية اللغة العربية، فقد حرص الفرنجة على تعلم اللغة العربية خاصة بعد أن زادت المعاملات التجارية بينهما، وأيضاً المعاهدات التي جرت

---

(46) المرجع السابق، ص140.

(47) المرجع السابق ، ص140.

(48) محمد المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، (تونس،دار المغرب الاسلامي، 1982) ص161.

(49) المطوي، الحروب الصليبية، ص161.

بين الطرفين، فقد أصبح من الضروري تعلم اللغة العربية لكي يكونوا مترجمين للتجار الذين أتوا من الغرب الأوروبي، وكذلك في المفاوضات الدبلوماسية وقد استعان بهم سلاطين المماليك للترجمة بينهم وبين الوفود الأوروبية المختلفة[50].

كما أن الكثير من تجار البندقية تعلموا بعض الكلمات العربية لاستخدامها مع الفلاحين المسلمين الموجودين بأحيائهم التي حازوها في الشرق الفرنجي أو في معاملاتهم اليومية التي تتعلق بأسماء الملابس والأدوات المنزلية والأدوية والمأكولات واستخدامات الحياة اليومية الضرورية[51].

ونتيجة لتأثر الصليبيين باللغة العربية، فقد دخلت كلمات عربية عديدة إلى لغات الصليبيين، ومن ضمن هذه الكلمات كلمة "جلاب" وهو شراب من بعض الأعشاب العطرية، نجدها في الإنجليزية "Julep"، أما كلمة "شراب" فنجدها في الإنجليزية "Syrup"، أما كلمة "جره" فنجدا في الإنجليزية "Jar"[52].

ولا تزال قواميس اللغات الأوروبية الحديثة مليئة بكلمات عربية الأصل مثل "Divan" بمعنى ديوان، و"Bazar" بمعنى سوق، و "Artichoke" بمعنى خرشوف، و"Spinach" بمعنى سبانخ، و"Magazine" بمعنى مجلة، وغيرها من الكلمات التي يرجع أصلها إلى اللغة العربية[53].

أما تأثر الفرنجة من ناحية الأدب العربي، فنجد أن الفرنجة والأوروبيين بصفة عامة تأثروا بالمسلمين في المجال القصصي، فقد روى أن جاك دي فتري أسقف عكا كان يروي بعض المقتطفات من ألف ليلة وليلة الرواية العربية المشهورة، لبعض الصليبيين الذين قدموا إلى بلاد الشام، وعندما عاد هؤلاء إلى بلادهم قاموا بروايتها على أصدقائهم، وقد تم نشر تلك الأقاصيص من خلال مجموعة قصصية بعنوان

---

(50) عوض، سندباد، ص139.

(51)Mayer‘ The Crusades, Oxford, 1972, p. 180.

(52) هنري ، تاريخ أوروبا ، ص140.

(53) المرجع السابق، ص141.

"أعمال الرومان" وأيضاً قصص الأيام العشرة التي ألفها بوكاشيو "Pocaio" سنة 777هـ/1375م[54].

وأعجب الصليبيون بالقوانين الإسلامية فاقتبسوا منصب المحتسب، وقد اختص صاحب هذا المنصب بمراقبة الأسواق والموازين والمكاييل والمشتغلين بأقوات الناس، وكذلك الممتهنين للطب والصيدلة، فقد كان الفرنجة لا يسمحون لأي طبيب يمتهن مهنة الطب قبل أن يؤدي امتحاناً يحضره أفضل الأطباء من نفس المدينة ويعقد له مجلس عام برئاسة الأسقف[55].

وقد كانت الدولة البيزنطية قد وضعت قواعد وقوانين لتنظيم التجارة والصناعة تحمي البائع والمشتري وحقوق الإمبراطورية وقد كان كتاب عنوانه "Book of the Perfect"، ومعناها بالعربية كتاب "المدير" وهذا الكتاب يتضمن مجموعة من القوانين التي تنظم أسواق التجارة والحقوق والواجبات الخاصة بالصناع والمنتجين والتجار والمقرضين ورجال البنوك[56]، وقد كانت قوانين هذا الكتاب مأخوذة من كتاب إسلامي اسمه "كتاب الحسبة"، الذي ألف لكي ينظم السوق ويمنع الغش والاحتكار[57].

أما في مجال الزراعة، فقد عاد أبناء الغرب الأوروبي إلى بلادهم عقب سقوط عكا آخر معاقل الفرنجة سنة 691هـ/1291م، وقد تعلموا من المزارعين في بلاد الشام طريقة خلط التربة بالأسمدة والمخصبات الزراعية، وعرفوا أيضاً الطواحين الهوائية[58].

---

(54) عوض، سندباد، ص139.

(55) احمد الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطي،(القاهرة، دار النهضة العربية، 1985) ص192.

(56) عطية، الشرق والغرب، ص152.

(57) عزيز سوريال عطية ، العلاقات بين الشرق والغرب (تجارية – ثقافية – صليبية)، ترجمة فيليب صابر سيف، (القاهرة، دار الثقافة المسيحية ، 1972) ص152.

(58) عطية، الحروب الصليبية، ص154.

ونقل الفرنجة الكثير من النباتات والأشجار لكي يقوموا بزراعتها في أوربا، مثل: السمسم والخروب والذرة والأرز والليمون والبطيخ والمشمش والثوم[59].

أما قصب السكر فقد عرف الفرنجة طريقة زراعته وتعلموا صناعته، وأقاموا مصانع لإنتاجه في صور وعكا وبعض المدن الساحلية ليسهل عليهم تصديره إلى أوربا[60]. كما استغل الصليبيون بعض أشجار الغابات للتصدير إلى أوربا ومن أشهر تلك الأخشاب العرعر الذي لا يتطرق إليه فساد[61].

من الحرف التي تعلمها الفرنجة عن المسلمين صناعة الزجاج كانت هذه الصناعة متقنة ومشهورة، ورثها الأهالي عن الفينيقيين القدماء، فبرع فيها أهل الشام، وتفننوا فيها[62].

وأخذ التجار البنادقة هذه الصناعة وقلدوا النماذج التي صنعت في المدن التي لها شهرتها في هذه الصناعة منذ القدم، مثل صور وأنطاكية والخليل وطرابلس وعكا ودمشق، هذه المدن أخرجت تلك المصابيح البديعة التي احتفظت متاحف أوربا بنماذج كثيرة منها[63].

وظل الصليبيون يجلبون الخامات اللازمة لصناعة الزجاج إلى بلادهم، واستطاعوا أن ينتجوا زجاجاً يعتبر من أجود أنواع الزجاج، خاصة الزجاج الذي يصنع في مدينة البندقية، فالفضل في جودة صناعته يرجع إلى المواد الخام التي استوردت من بلاد الشام[64].

وحرص الصناع في مدينة البندقية على الحصول من مصر والشام على التحف

---

(59) الشامي، تاريخ العلاقات، ص202.

(60) المرجع السابق، ص202.

(61) الشامي،تاريخ العلاقات، ص203.

(62) النقاش، العلاقات بين العرب والافرنج، ص183.

(63) المرجع السابق ، ص184.

(64) Prawer, The Latin kingdom., p 494.

الزجاجية لتزيين قصورهم، واستطاعوا محاكاة هذا الفن في زخرفة الزجاج وصــقله، وإنتاج أواني زجاجية ظهر عليها الطابع الإسلامي[65].

كذلك عرف الفرنجة صناعة المنسوجات والتي لاقت إعجابهم لبراعة حياكتها، وقد حرصوا على تصديرها وتقليدها[66].

وفي مجال المنسوجات والملابس، قد وصلت حداً من الإتقان، وقد وصف بأنــه عجيب الصنعة وأنه عديم المثال، وقد عقدت مقارنة بين الديباج الدمشقي والعديد مــن أنواع الثياب في مدن الشرق والديباج البيزنطي فوجدوا أن الثياب الدمشقية لا تنافســها ثياب[67].

واشتهرت دمياط بصناعة أقمشة من التيل ذات عدة ألوان بحيث يتغير ألوانهــا باختلاف الضوء الواقع عليها[68]. لهذا فقد لاقت المنسوجات العربية رواجــاً ورغبــة كثيرة من الأوروبيين لتقليدها وشرائها[69]، ثم نتيجة لذلك برع أبناء الغرب الأوروبــي في صناعة المنسوجات التي عرفوها في بلاد الشام وأقبلوا على هذه الصــناعة إقبــالاً متزايداً في أوربا وظلت أسماء الأقمشة لا تزال تحمل نفس أسمائها العربية في أوربــا مثل قماش الدمقس المنسوب إلى دمشق[70].

---

(65) ارنولد كريستي، ، تراث الإسلام، ترجمة محمد زكي، ج1 (القاهرة ، مركز مطبوعات اليونســكو، 2000) ص47.

(66) جان سوفاجيه، دمشق الشام لمحة تاريخية، ترجمة فؤاد حسين، (القاهرة، مطبعــة مصــر، 1946) ص62.

(67) محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، (القاهرة،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 1995) ص26.

(68) سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، (القاهرة، مكتبــة الانجلــو المصــرية، 1994)، ص290.

(69) الشامي, تاريخ العلاقات، ص202.

(70) جورج يعقوب، أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى، ترجمة فؤاد حسين، (القــاهرة، مطبعة مصر، 1946) ص62.

وترجع شهرة الأقمشة العربية إلى المواد الصباغة، فكان لزاماً على الفرنجة أن يعرفوا مصدر مواد الصباغة ومن تلك المواد "أحجار الشب، فقد حرص التجار الإيطاليون على شراء مادة الشب وتسويقها إلى الغرب الأوروبي للنهوض بصناعة المنسوجات في أوربا[71].

وشهدت بأهمية حجر الشب في التجارة الدولية إحدى العقود الموثقة بمدينة البندقية عام 464هـم1071[72]، ونظراً لأهمية هذا الحجر فقد بدأ الإيطاليون يتزودون بأحجار الشب من الصحراء بجنوب مصر لأن تلك المنطقة اشتهرت بجودة هذا الحجر وبكميات وافرة[73].

ولعب التجار اليهود دوراً مهماً في شراء أحجار الشب من مصر وبيعه إلى التجار الإيطاليون، قد أدى ظهور هذه التجارة الجديدة إلى زيادة أهمية أحجار الشب من الناحية الاقتصادية للدولة[74].

ونظراً لزيادة أهمية هذا الحجر الاقتصادية، فقد تولى ديوان السلطان استخراج حجر الشب وليس لأحد أن يبيعه أو يشتريه سوى الديوان فإذا حدث ووجد منه شيء عند التجار المحليين دون إذن الديوان تقرر مصادرته[75].

ومن الصناعات التي اشتهرت بها بلاد الشام صناعة الحرير، فقد كانت مدينتي عكا وطرابلس هما الرائدتان في هذه الصناعة[76].

تعلم الفرنجة كيفية نول الحرير من الصناع المهرة في بلاد الشام، إلى أن

---

(71) زيتون، العلاقات الاقتصادية ، ص230.

(72) كلود ، الشرق والغرب، ص62.

(73) عطا ، الشرق الاسلامي، ص152.

(74) كلود ، الشرق والغرب، ص63.

(75) السيد باز العرينى، الشرق الأدنى في العصور الوسطى "الأيوبيون"، ج1 (بيروت، دار النهضة العربية، 1967) ص193

(76) أحمد فكري، العمارة والتحف الفنية، (القاهرة،مركز مطبوعات اليونسكو،2000) ص442.

أصبحت في إيطاليا مراكز هامة لصناعة الحرير[77]، حرصت هذه المراكز أن تستمد أساليبها الزخرفية من الأقمشة العربية، بلغت حداً من التقليد حتى لا تكاد أن تفرق بينها وبين الأقمشة العربية[78].

نمت صناعة الحرير في أسبانيا وصقلية نمواً كبيراً، وكان البلدان ينتجان جزءاً على الأقل من المادة الأولية لهذه الصناعة فقد رسغت في الغـرب رفاهيـة الشـرق وحضارته وصناعته[79].

(77) محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى دراسة في الأوضاع السياسية والحضارية، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 1996) ص290.

(78) الحويري، الأوضاع الحضارية، ص136.

(79) هايد، تاريخ التجارة ،ج1، ص67.

# الخاتمـة

في ضوء ما حوته هذه الدراسة من معلومات عن العلاقات الاقتصادية اتضـــح لي الآتي:

1- يعتبر أهم دافع من دوافع قيام الحروب الصليبية هو الدافع الاقتصـــادي فعنـــدما قرأت خطاب البابا أوربان الثاني، الذي كان نداء لقيام الحروب الصليبية فبمجـــرد إنهاء خطابه بأن المسيحيين سوف ينعمون في أورشليم بالرخاء، فقد لبى الفقـــراء والدهماء والعامة نداء البابا لكي يكونوا أغنياء، ولبى الأغنياء هـــذا النـــداء لكـــي يزدادوا غنى.

2- تبين لي أن العوامل التي أدت إلى قيام علاقات بين الطرفين، كانت عـــن طريـــق الاتصال التجاري للحصول على المواد الخام والسلع الشرقية التي أولـــع الغـــرب الأوروبي بها خاصة التوابل التي حازت على المكانة الأولى بين تلك السلع.

3- ظهور المؤسسات الخدمية كالفنادق والخانات التي كانت عقد بها الصفقات التجارية بالرغم من حالة الحرب بين الطرفين.

4- توفر الأمن والطمأنينة في الأماكن الإسلامية مما شـــجع التجـــار إلـــى المجـــيء بتجارتهم وهم متأكدين من سلامة أموالهم وأرواحهم.

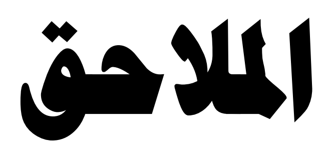
5- ظهور مناطق جديدة في فترة الحروب الصليبية وهي ما تسمى بلاد المناصـــفات وكيفية إدارتها والمعاهدات التي قامت بين كل من الطرفين لتنظيمها.

6- توطيد العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية مثل جنوا والبندقية وبيزا والمســـلمين مما يدل على أن المصالح التجارية هي الغالبة على الحروب، والدليل على ذلـــك أنهم باعوا المسلمين السلاح والأخشاب بالرغم من حالة العداء التي كانت بينهما.

7- تأثر العملات الصليبية بالعملات الإسلامية، فد سكَّ الصليبيون عملات عليها كتابات ونقوش باللغة العربية وما يميز هذه العملات هي وجود الصليب في وسطها.

8- استفاد الصليبيون من الحضارة الإسلامية وتأثروا بها في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية.

9- كانت الحروب الصليبية بالنسبة للغرب الأوروبي مغامرة فاشلة كلفته الكثير من التضحيات والأموال، ولكنها بالنسبة للعلاقات بين الشرق والغرب كانت لقاء حضارياً مكن الغرب الأوروبي من النهوض من سباته الطويل.



الملاحق

# الملحق الأول

# المعاهدة بين البنادقة والمسلمين

# الملحق الأول

# وثيقة بشأن فرض قيود

# على التجارة بين البنادقة والمسلمين[80]

**نص الوثيقة:**

حيث أنه جاء في فترة مبكرة من التوقيت السالف الذكر مبعوثون إمبراطوريون من قِبل يوحنا الأول وباسيل الثاني وقسطنطين الثامن، وهم أقدس الأباطرة لاستقصاء عن الأخشاب والأسلحة التي كانت تحملها سفننا إلى بلاد المسلمين وللتهديد بشكل مفزع، بناء على أمر أمجد الأباطرة، بأنه في حالة قيام البنادقة بتقديم المساعدة للبرابرة بإمدادهم بالأخشاب، الأمر الذي يعتبر موجهاً ضد مصالح الشعب المسيحي، فإنهم سوف يقومون بإشعال النيران في كافة السفن بما عليها من رجال وشحنات، وعلى ذلك ففي يوم ما، عندما كان اللورد بيترو مع مارينو أفخم أسقف لكنيسة فيتالي وأساقفة آخرين من بلاده، وكذلك جزء كبير من الشعب من العناصر العليا والمتوسطة والدنيا قائماً في حضرته. عقد المجتمعون مجلساً ليقرروا كيف وبأية طريقة يستطيعون تهدئة غضب الإمبراطور وكيف يقومون بالكف عن القيام بهذا العمل الشرير وارتكاب تلك المعصية.

ولأننا نعرف بكل تأكيد أنها وصية كبرى أن تقدم لشعب وثني مثل تلك المساعدة التي يستطيع بها التغلب على المسيحيين وإلحاق الضرر بهم فبناء على ذلك ذلك قررنا من الآن فصاعداً لن يجرؤ أحد على أن يحمل إلى بلاد المسلمين أسلحة لبيعها أو لتقديمها كهدايا كما لن ينقل أحد أخشاب لبناء السفن مما قد يضير مصالح

---

(80) توفيق، عمر كمال, مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي، (القاهرة، دار المعـــارف ،1967) ص187.

الشعب المسيحي، كما لن يحمل أحد الدروع أو التروس أو السيوف أو الرماح أو أي أسلحة قد يحارب بها المسلمون المسيحيين ولا يجوز للمرء أن ينقل من السلاح إلا ما يدافع به عن نفسه ضد الأعداء ولا يجوز بأية حال أن يباع هذا السلاح أو يعطي للبرابرة.

وبشأن الأخشاب فنحن نوافق على عدم نقل أشجار الدرداء أو القيقب أو ألواح الخشب السميكة أو المجاديف والسواري أو أي أخشاب أخرى قد تتسبب في إلحاق الأذى بالمسيحيين ولكن يمكن أن نوافق فقط على قرم خشبية مشذبة من الدرداء لا يزيد طولها عن خمسة أقدام ولا عرضها عن البلطة. وكذلك الأواني والطاسات والأقداح وألواح من الخشب طولها خمسة أو ستة أقدام ولا يجوز لنا أن نشحن على المراكب من أي ميناء بعد أن نبحر من ميناء البندقية، أخشاب يمكن بيعها في أي مناسبة للبرابرة ويستطيعون استعمالها في بناء السفن.

وإذا حاولنا أن نحنث بالعهد الحالي، واجترأنا أن ننقل إلى بلاد المسلمين أسلحة أو أخشاب غير ما نص عليه سالفاً، فإن من يقوم بذلك ويكشف أمره عليه أن يدفع لك يا لورد بيترو ولخلفائك من بعدك غرامة قدرها مائة جنيه من الذهب الخالص وإن لم يمتلك هذه الجنيهات، فلتقع على رأسه العقوبة الكبرى، وليبق سجل هذا العهد نافذ المفعول بشكل تام إلى الأبد.

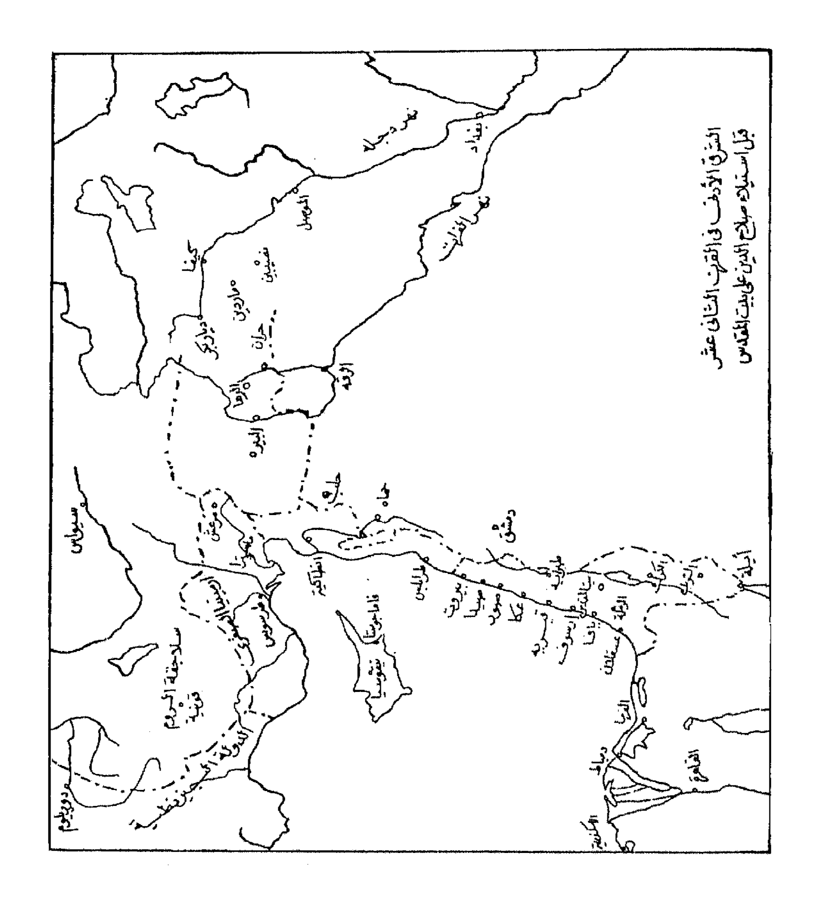
# الملحق الثاني

# الخرائـــــــــط



نانكرد، أمير أنطاكية بزيّ عربي

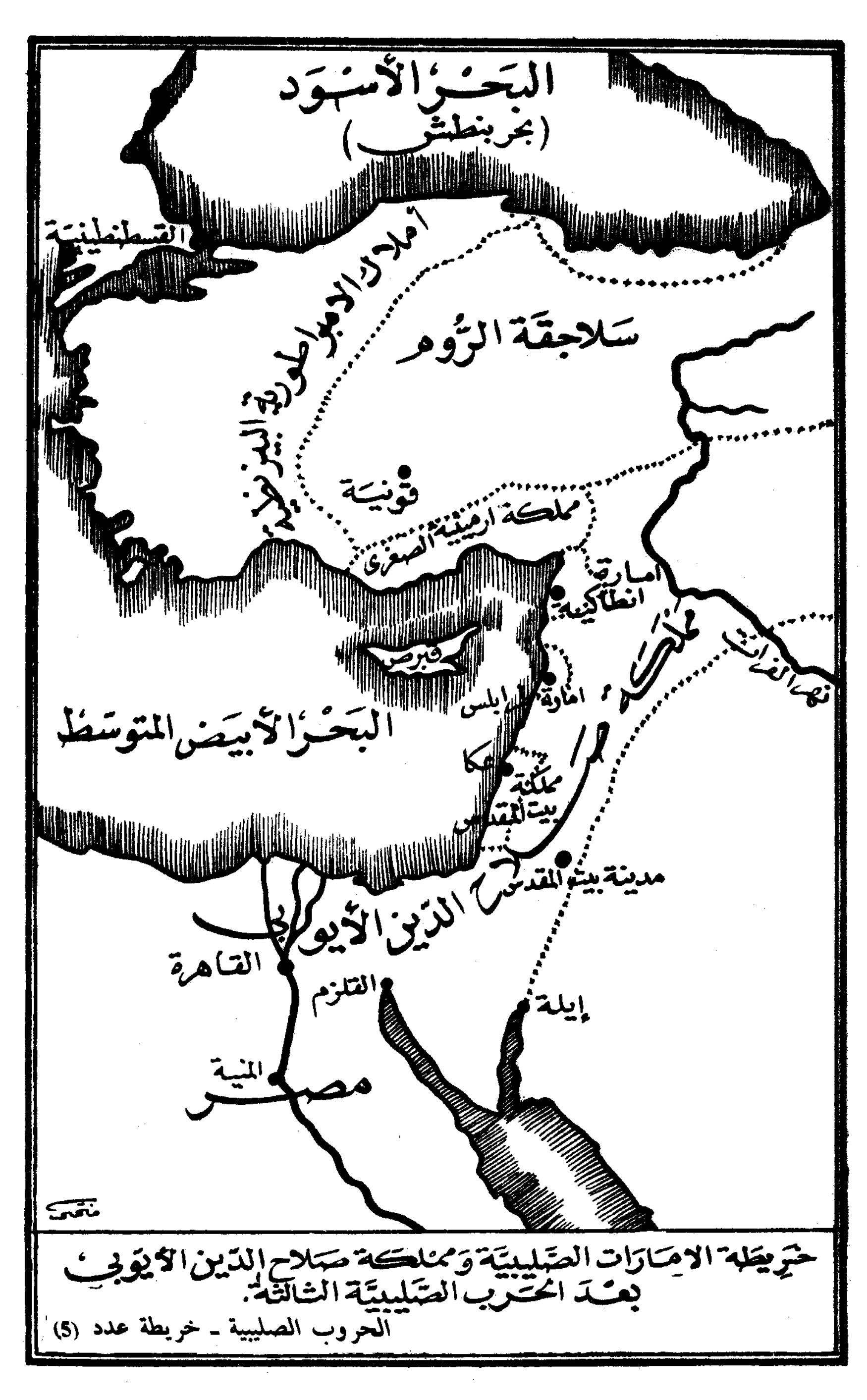
عبدالله الربيعي، اثر الشرق الاسلامي في الفكر الاوروبي خلال
[illegible] (1994) [illegible] 200




(2) السيد الباز العريني ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى ( الأيوبيون ) ، (بيروت ، دار النهضه العربية ) ص 18 .

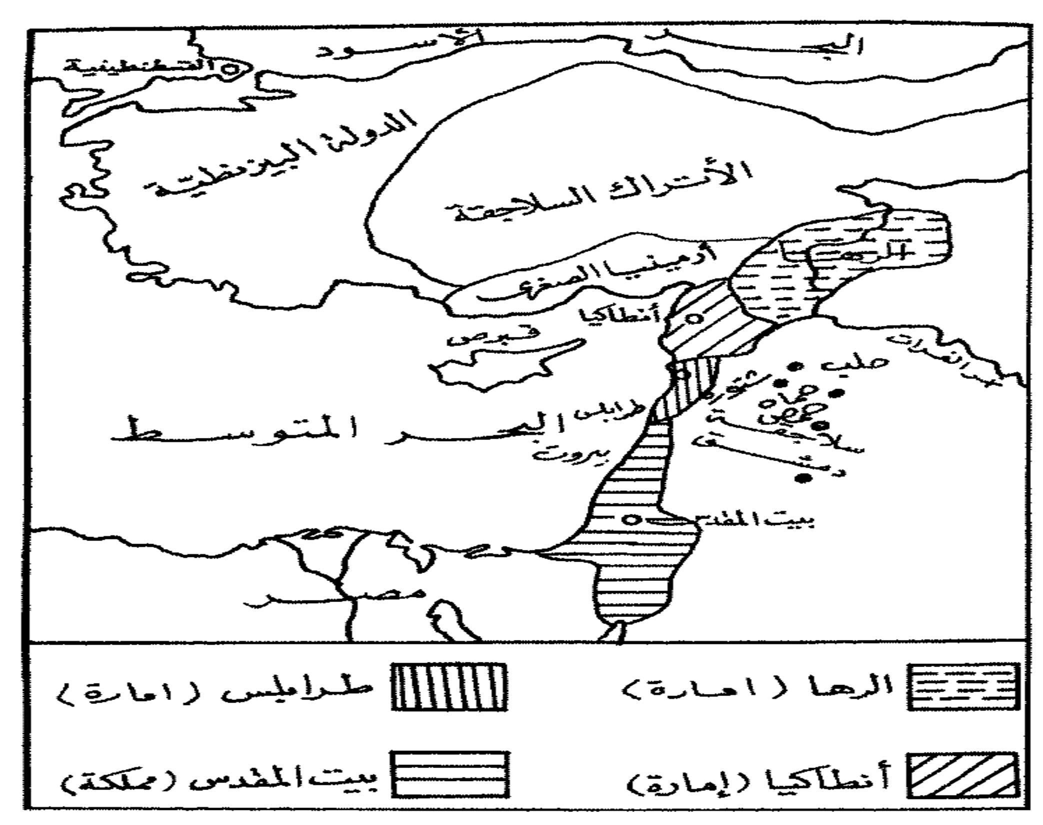


محمد المطوى،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب(تونس،دار المغرب الاسلامي،1986) ص37.




خريطة الامارات الصليبية ومملكة صلاح الدين الأيوبي بعد الحرب الصليبية الثالثة.
الحروب الصليبية - خريطة عدد (5)

المطوي، المرجع السابق ،ص98.




**الامارات الصليبية في بلاد الشام**

٣٥

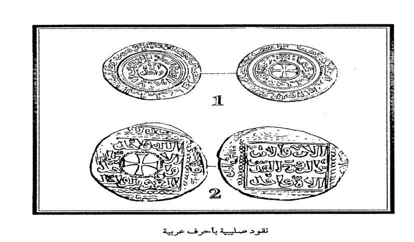
(5) المطوي ، المرجع السابق ، ص 99



موقع حصنى الكرك والشوبك

«نقلا عن سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، الجزء الأول»

(6) العريني ، المرجع السابق ، ص 30



نقود صليبية بأحرف عربية

(7) الربيعي ، أثر الفكر ، ص 201

اولا: المصادر


- القران الكريم , رواية حفص عن عاصم
- ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن علي (ت: 630هـ/1232م).
  - الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية ، 1995
- الإدريسي، أبي عبدالله محمد بن محمد (ت: 560هـ/1164م).
  - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1994.
- ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبدالله محمد (ت779هـ/1377م).
  - الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر، بيروت، مؤسسة الرسالة،1984
- البغدادي، موفق الدين عبداللطيف (ت: 629هـ/1231م).
  - كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق عبدالله الشيخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
- ابن جبير، محمد بن أحمد (ت: 614هـ/1217م).
  - الرحلة المسماة تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1970.
- الحموي، ياقوت شهاب الدين أبي عبدالله (ت: 626هـ/1229م).
  - معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977.
- خسرو، ناصر علوي (ت: 481هـ/1088م).
  - سفرنامة، ترجمة يحي الخشاب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، 1993.

- ابن خلكان، شمس الدين أبي العباس أحمد البرمكي (ت: 681هـ/1281م).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ، 1968.
- الدوادار، بيبرس المنصوري (ت: 735هـ/1325م).
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة (عصر سلاطين المماليك) تحقيق زبيدة عطا، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1970.
- أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن (ت: 695هـ/1266م).
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق أحمد البيومي، دمشق، مكتبة الأسد، 1992.
- ابن شاهنشاه، محمد تقي الدين الأيوبي (ت: 617هـ/1220م).
- مضمار الحقائق وسر الخلائق (صاحب حماه) تحقيق حسن حبشي، القاهرة، عالم الكتب، 1968.
- ابن شداد، بهاء الدين أبي المحاسن يوسف (ت: 632هـ/1234م).
- سيرة صلاح الدين المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964.
- ابن عبدالظاهر، محي الدين السعدي (ت: 692هـ/1292م).
- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبدالعزيز الخويطر،الرياض، د.ن ، 1976.

- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، المؤسسة المصرية للطباعة، 1961.

- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد هبة الله (ت: 660هـ/1261م).

- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان ، القاهرة، مكتبة المصطفي، 1968.

- العسقلاني، ابن حجر (ت: 852هـ/1449م).

- إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي،الهند، مكتبة حيدر آباد ، 1908.

- العليمي، مجيرالدين أبي اليمن القاضي الحنبلي (ت: 927هـ/1520م).

- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس، عمان، مكتبة ونديس، 1999.

- العماد، الأصفهاني عمادالدين بن عبدالله الكاتب (ت: 597هـ/1201م).

- الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمد صبح، القاهرة، د.ن ، 1965.

- ابن قاضي شهبة، بدر الدين أبي الفضل (ت: 374هـ/1469م).

- الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، بيروت، دار الكتاب الجديد ، 1971.

- ابن القلانسي، أبي يعلي حمزة (ت: 555هـ/1160م).

- ذيل تاريخ دمشق، بيروت، مطبعة الأباء اليسوعية، 1908.

- القلقشندي، أبي العباس أحمد.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، المؤسسة المصرية

للتأليف والطباعة والنشر، 1963.

- المقريزي، تقي الدين أحمد (ت: 805هـ/1402م).

- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشــور، القاهرة، مطبعة دار الكتب ، 1970.

- ابن مماتي، الأسعد بن المهذب بن أبي مليح (ت: 606هـ/1209م).

- قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطيــة، القــاهرة، مكتبــة مدبولي ، 1991.

- النويري، شهاب الدين أحمد (ت: 732هـ/1332م).

- نهاية الإرب في فنون الأدب، القاهرة، المؤسسة المصرية العامــة، د.ت.

**ثانياً: المراجع:**


- البراوي، راشد.
- حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين،القاهرة، مطبعة النهضة المصرية،1958.
- توفيق، إسكندر.
- بحوث في التاريخ الاقتصادي، القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، 1961.
- الجزيري، عبدالرحمن.
- تاريخ الفقه على المذاهب الأربعة،استانبول، مكتبة الحقيقة، 1970.
- الحريري، سيد علي.
- الحروب الصليبية أسبابها ونتائجها، بيروت، دار التضامن، 1988.
- حسن، حسن إبراهيم.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1967.
- حسن، زكي محمد.
- فنون الإسلام، القاهرة، دار الرائد العربي، 1981.
- حسن، علي إبراهيم.
- تاريخ المماليك البحرية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1967.
- الحويري، محمود محمد.
- العلاقات الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث

عشر من الميلاد، القاهرة، دار المعارف، 1979.

- بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين، القاهرة، دار المعارف، 1979.

- الربيعي، عبدالله بن عبدالرحمن.

- أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، الرياض، مكتبة المصطفى، 1994.

- رمضان، عبدالعظيم.

- الصراع بين العرب وأوروبا منذ ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، القاهرة، دار المعارف، 1997.

- سعداوي، نظير حسان.

- التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1957.

- الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1961.

- سعيد، عبدالفتاح عاشور.

- أضواء جديدة على الحروب الصليبية، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964.

- أوروبا العصور الوسطى النهضات والحضارة والنظم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1986.

- الشطشاط، علي حسين.

- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، القاهرة،

المجلس الأعلى للثقافة، 1998.

- شلبي، محمود.
- حياة الملك الظاهر بيبرس الأسد الضـــاري قـــاهر التتـــار ومـــدمر الصليبيين، بيروت، دار الجيل، 1992.
- صومط، انطوان.
- الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، بيـــروت، دار الحداثة، 1982.
- عاشور، سعيد عبدالفتاح.
- العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1949.
- عبدالرحمن، زكي.
- القلاع في الحروب الصليبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1969.
- العريني، السيد الباز.
- الشرق الأدنى في العصور الوسطى "الأيوبيون"، القاهرة، دار النهضة العربية، 1967.
- عطا، زبيدة محمد.
- الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمـــن الأيـــوبيين، القـــاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، 1994.
- علي، علي السيد.
- القدس في العصر المملوكي، القاهرة، دار الفكر للدراســـات والنشـــر

والتوزيع، 1986.

- عمران، محمود سعيد.

- القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المســلمين، بيــروت، دار النهضة العربية، 1986.

- عوض، محمد مؤنس.

- سندباد في عصر الحروب الصــليبية، القــاهرة، عــين للدراســات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2002.

- غنيم، اسمنت.

- الدولة الأيوبية والصليبيين، الاســكندرية، دار المعرفــة الجامعيــة، 1987.

- قاسم، قاسم عبده.

- ماهية الحرب الصليبية( الأيدلوجية، الدوافع – النتائج)، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية، 2001.

- فتحي، عثمان.

- الحدود البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر، 1990.

- فهمي، زكي نعيم.

- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.

- كمال، عمر توفيق.

- الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، الاســكندرية،

مركز الإسكندرية للكتاب، 1986.

- مقدمات العدوان الصليبي على المشرق العربي، القاهرة، دار المعارف، 1967.

- المبارك، هاني.

- دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، دمشق، دار الفكر، 1996.

- محمد، ناجلا.

- مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، 2001.

- محمد، عتريس.

- معجم بلدان العالم جغرافي اقتصادي تاريخي سياسي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 2002.

- المطوي، محمد العمروسي.

- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، تونس، دار المغرب الاسلامي،1982

- موسى، تيسير.

- نظرة عربية على غزوات الإفرنج، بيروت، دار النهضة العربية،1972.

- نسيم، جوزيف.

- دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى،الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1988.

- النقاش، زكي.
- العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1958.
- نقولا، زيادة.
- دمشق في عصر المماليك، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1966.
- وجدي، محمد فريد.
- دائرة معارف القرن العشرين، بيروت، دار المعرفة، 1971.
- وهبة، مصطفى.
- موجز تاريخ الحروب الصليبية، القاهرة، مكتبة الإيمان، 1997.
- يوسف، جوزيف.
- الوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي، بيــروت، دار النهضة العربية،1981.

**ثالثاً: المراجع المعربة:**


- أرنست، باركر.
- الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، دار النهضة العربية، 1967.
- آشتور. أ.
- التاريخ الاقتصادي الاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبدالهادي عبلة، القاهرة، دار قتيبة، د.ت.
- براور، يوشع.
- الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس، ترجمة عبدالحافظ البنا، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001.
- بينز، نورمان.
- الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس،القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 2003.
- بيرين هنري.
- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى والحياة الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة عطية القوصي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.
- جونز، أ.هـ.م.
- مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة إحسان عباس،عمان، دار الشرق،1987.

- جويبو، جان كلود.
- على خطى الصليبيين، ترجمة عبدالهادي عباس، دمشق، دار الحصاد، 1995.
- ديل، شارل.
- البندقية جمهورية أرستقراطية، القاهرة، دار المعارف، 1948.
- رنسيمان، ستيفن.
- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دمشق، دار الثقافة، 1995.
- ريموند اجيل.
- تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسنين محمد عطية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002.
- سرور، جمال الدين.
- دولة بني قلاوون، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1989.
- سوفاجيه، جان.
- دمشق الشام، لمحة تاريخية، ترجمة فؤاد حسين، القاهرة، مطبعة مصر، 1946.
- الشارتري، فوشيه.
- تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1996.
- عطية، عزيز سوريال.
- العلاقات بين الشرق والغرب: تجارية – ثقافية – صليبية، ترجمة

فيليب صابر، القاهرة، دار العالم العربي، 1972.

- قباني، رنا.

- أساطير أوروبا عن الشرق، ترجمة صباح قباني، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1993.

- كريستي، أرنولد.

- تراث الإسلام، ترجمة محمد زكي، القاهرة، مركز مطبوعات اليونسكو، 2000.

- كاهن، كلود.

- الشرق والغرب زمن الحرب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، القاهرة، دار سينا للنشر، 1995.

- هاو، سونيا.

- في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، 1957.

- يعقوب، جورج.

- أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى، ترجمة فؤاد حسين، القاهرة، مطبعة مصر، 1946.

## رابعاً: المراجع الأجنبية:

1- Ashtor: A social Economic of the Near East eages, Paris, 1950

2- Antony Bridge: The Crusades,Granda,London,1980

3- Felix Fabri:The Book of the wandering of Felix Fabri, London,1892.

4- Fuicher of charters: A History of the Expedition of Jerusalem, trans., Francis Rita Ryan W. W. Rotan and company, New York, 1978.

5- Heyd (W): Histoire Du Commerce Du Levant Au, Moyan Age, Leipzing, 1936.

6- Josha Prawer: The World of the Crusaders, New York, 1972.

7- Mayer: The Crusades,Oxford,1972.

8- Prawar: The Latin Kingdom of Islam, London, 1972

9- Rey,Emmanuel:Colonic frques en Syri Aux Xiime Siecles, paris, 1883, p215 .

10- Smith Jonathan: The First Crusade and the Idea of Crusading, London, 1936.